سلسلة
الجوائز
122

أميلي نوتومب

لا حواء ولا آدم

رواية

ترجمة: دينا رفعت سلام

الهيئة المصرية العامة للكتاب

@ketab_n
Follow Me
31.5.2015
@ketab_n
Follow Me

إميلي نوتُومب

لا حـوَّاء ولا آدم

روايـة

ترجمة: دينَا رفعت سلاَّم

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٤

Twitter: @ketab_n

نوتومب، إميلى، ١٩٦٧ ـ
لا حواء ولا آدم: رواية/ إميلى نوتومب؛ ترجمة: دينا رفعت سلام. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.
٢٠٠ ص؛ ٢٣ سم.
تدمك ٥ ٦٢٦ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القصص البلجيكية.
أ ـ سلام، دينا رفعت (مترجم)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٤١٤/ ٢٠١٣
I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 626 - 5
ديوى ٨٣٩,٣١

Twitter: @ketab_n

رئيس مجلس الإدارة	ا. د. أحمد مجاهد
رئيس التحرير	د. سهير المصادفة
إدارة التحرير	بدر الدين شفيق عبد الله
سكرتارية التحرير	وردة عبد الحليم على
التصميم الجرافيكي	هند سمير
الإشراف الفني	صبري عبد الواحد
	على أبو الخير
تجميع كمبيوتر	عصام الديب
إخراج تنفيذي	محمد خليل حنفي

• الكتاب: لا حواء ولا آدم

Ni D'Eve Ni D'adam

• تأليف: اميلى نوتومب.

Amelie Nothomb

• ترجمة: دينا رفعت سلام.

• يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من الناشر الأصلى للهيئة المصرية العامة للكتاب.

• جميع حقوق الإصدار باللغة العربية محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب فى مصر والخارج.

• جميع الحقوق الأخرى محفوظة للناشر الأصلى:
© Editions Aldin Michel - paris 2007

• الطبعة الأولى ٢٠١٢.

• طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

Twitter: @ketab_n

بدا لي أن الطريقة الأكثر فاعليةً لتعلُّم اللغة اليابانية هي بتعليم اللغة الفرنسية. تركت بمركز التسوق إعلانًا صغيرًا: "دروس خصوصية لتعلم اللغة الفرنسية، أسعار مغرية".

دق جرس الهاتف مساء نفس اليوم، وتم الاتفاق على موعد باليوم التالي بقهوة أوموت ـ ساندو. لم أفهم شيئًا من اسمه ولا فهم اسمي. بعد أن أغلقت الخط، أدركت أنني لا أدري كيف سأتعرف عليه ولا كيف سيعرفني. وبما أنه لم يخطر ببالي أن أطلب رقم هاتفه، فلم يكن لذلك من حل. فكرت: "قد يتصل بي مرةً أخرى لهذا السبب".

لم يتصل بي مرةً أخرى. بدا لي أن الصوت كان صوت شاب. وهو ما لن يساعدني كثيرًا. فطوكيو لم تكن تفتقر إلى الشباب عام ١٩٨٩ وبشكل أكبر بمقهى أوموت ـ ساندو هذا، يوم ٢٦ يناير، حوالي الساعة الثالثة عصرًا.

لم أكن الأجنبية الوحيدة، بل بالعكس. ومع ذلك، سار نحوي بلا تردد.

Twitter: @ketab_n

- أنت معلِّمة اللغة الفرنسية؟
- كيف عرفت؟

هز كتفيه. جلس متصلبًا تمامًا ولم ينطق. فهمت أنني المعلمة وأنني من يجب أن أوليه الاهتمام. طرحت عليه بعض الأسئلة، فعلمت أنه يبلغ ٢٠ عامًا، وأن اسمه رينري ويدرس الفرنسية بالجامعة. علم أنني أبلغ ٢١ عامًا واسمي إميلي، وأدرس اللغة اليابانية. لم يفهم جنسيتي. كنت معتادة ذلك.

- من الآن فصاعدًا، ممنوعٌ علينا التحدث بالإنجليزية، قلت له.

تحدثت بالفرنسية حتى أعرف مستواه: وتبين أنه مُفزع. وكانت طريقة نطقه للغة هي الأسوأ: فلو لم أكن أعلم أن رينري يحدثني بالفرنسية لظننت أنني أتعامل مع مبتدئ في اللغة الصينية. كانت مفرداته ضعيفة، وتركيبه للجمل ينسخ بطريقة سيئة الإنجليزية، التي بدت مرجعيته السخيفة. والواقع أنه كان في السنة الثالثة من دراسته للفرنسية بالجامعة. تأكدت من الفشل التام لتعليم اللغات في اليابان. وعلى هذا النحو، فلم يكن من الممكن حتى تسمية ذلك تعصبًا.

لابد أن الشاب أدرك الموقف لأنه لم يتأخر عن الاعتذار، ثم عن الصمت. لم أستطع تقبل هذا الفشل، وحاولت أن أدفعه للحديث مرةً أخرى. عبثًا. كان يُبقي فمه مغلقًا كأنه يُخفي أسنانًا قبيحة. كنا في مأزق.

هكذا، رحت أتحدث معه باليابانية. لم أتحدثها منذ كنت في الخامسة من عمري، ولا خلال الستة أيام التي قضيتها مؤخرًا ببلد الشمس المشرقة، بعد غياب ١٦ عامًا، والتي لم تكن كافية، ولو

Twitter: @ketab_n

قليلاً، لتنشيط ذكريات الطفولة عن هذه اللغة. أخرجتُ له هراء طفوليًا لا رأس له ولا ذنَب، كان يتعلق بشُرطي وكلب وأزهار الكرز.

استمع لي الشاب بذهول وانتهى بالانفجار ضحكًا. سألني إن كان طفلاً في الخامسة هو مَن علمني اليابانية.

- نعم، أجبته. هذا الطفل هو أنا.

وحكيت له عن رحلتي. رويت له ذلك ببطء بالفرنسية؛ بفعل انفعال خاص شعرتُ أنه يفهمني.

جعلته يتخلص من الحرج.

بفرنسية أكثر من سيئة، قال لي إنه يعرف المنطقة التي ولدتُ بها وعشت بها أول خمس سنوات من عمري: كانساي.

أما هو فكان من طوكيو، حيث كان والده يدير مدرسة كبيرة للمجوهرات. توقف عن الحديث، منهكًا، واحتسى قهوته بجرعة واحدة.

بدت تفسيراته كأنها كبَّدته من العناء ما يستلزمه عبوره لنهر - في حالة فيضان - على جسر تباعدت صخوره بعضها عن بعض بخمسة أمتار. كنت أستمتع بالنظر إليه وهو يتنفس بعد هذا الإنجاز.

لابد من الاعتراف بأن الفرنسية لغة بالغة الصعوبة. وما كنتُ لأحب أن أكون في مكان تلميذي. فتعلُّم الحديث بلغتي أمر صعب شأن تعلُّم كتابة لغته.

سألته عما يحبه في الحياة. فكر طويلاً. كنت أريد أن أعرف إن كان تفكيره ذا طبيعة وجودية أم لغوية. وبعد هذه المحاولات، أغرقتني إجابته في الحيرة:

Twitter: @ketab_n

- أن ألعب.

من المستحيل تحديد ما إذا كانت العقبة معجمية أم فلسفية. أصررت:

- بماذا تلعب؟

هز كتفيه:

- أن ألعب.

كان سلوكه ناتجًا إما عن انعزال رائع، أو عن كسل تجاه تعلم لغتي الرفيعة.

في كلتا الحالتين، بدا لي الشاب لطيفًا، وتوافقتُ معه. قلت إنه كان مُحقًا، بأن الحياة لعبة: أولئك الذين يعتقدون أن اللعب يقتصر على العبث لم يفهموا شيئًا... إلخ.

كان يسمعني كما لو كنت أحكي له أشياءً غريبة. مزية النقاش مع الأجانب أنه يمكننا دائمًا - إلى هذا الحد أو ذاك - من أن نُرجع تعبير اندهاش الآخر للاختلاف الثقافي.

سألني رينري بدوره عما أحبه في الحياة. أجبته - وأنا أفصل المقاطع اللفظية جيدًا - أنني أحب صوت المطر، وأن أتنزه بالجبل، والقراءة، والكتابة، والاستماع للموسيقى. قاطعني ليقول:

- واللعب.

لماذا كان يكرر كلامه؟ ربما ليستشيرني في هذه النقطة. واصلت الكلام:

- نعم، أحب أن ألعب، خاصةً بالكوتشينة.

Twitter: @ketab_n

بدا كأنه هو مَن تاه، الآن. رسمت كوتشينة على صفحة بيضاء من مفكرة: آس، اثنين، بستوني، ...

قاطعني: نعم، بالتأكيد، الكوتشينة، أعرفها.

شعرت أنني حمقاء بصورة غير طبيعية بطريقة تعليمي المبتذلة. لأستعيد توازني، تحدثت عن أي شيء: أي أطعمة كان يأكل؟ حاسمًا، أجاب:

- بيييص.

كنت أظنني أعرف المطبخ الياباني، لكنني لم أسمع بهذا النوع من الطعام من قبل. طلبت منه أن يشرح لي. كرر بتحفظ:

- بيييص.

- نعمَ، بالتأكيد، لكن ما هذا؟!

أخذ المفكرة من يدي وهو مندهش، ورسم محيط بيضة. استغرقت عدة ثوان لإعادة تجميع المقاطع برأسي وهتفت:

- بيض!

فتح عينيه كأنما ليقول: أجل!

- تُنطق بيضة، أكملت، بيضة.

- بيييص.

- كلا، انظر إلى فمي. يجب أن تفتح فمك أكثر: بيض.

فتح فمه جدًا:

- بااايض.

سألت نفسي: أهذا تقدم؟ نعم، لأنه يُشكل تغييرًا. لقد تطور، وإن لم يكن في الاتجاه الصحيح، فعلى الأقل باتجاه شيء آخر.

- هذا أفضل، قلت له، وكلي تفاؤل.

Twitter: @ketab_n

ابتسم بلا اقتناع، سعيدًا بتهذيبي. كنت المعلمة التي يحتاجها. سألني عن سعر الدرس.

- أعطني ما تريد.

أخفت إجابتي جهلي التام بالتسعيرة الفعلية، حتى ولو بالتقريب. لابد أنني كنت أتحدث كيابانية حقيقية، دون أن أدري، لأن رينري أخرج من جيبه مظروفًا جميلاً من ورق أرز سبق أن وضع به المال.

رفضت، وأنا محرجة:

- ليست هذه المرة. لم يكن درسًا بمعنى الكلمة. بالكاد تعارف.

وضع الشاب المظروف أمامي، وذهب لدفع ثمن قهوتنا، وعاد ليحدد لي موعدًا يوم الاثنين التالي، ولم ينظر إلى المال الذي حاولت إعادته، حياني ورحل.

فتحتُ المظروف، بكل خجل، وعددت ٦ آلاف ين. الرائع في أن تتلقى أجرك بعملة ضعيفة، أن المبالغ دائمًا استثنائية. أعدت التفكير في "بيييص" التي أصبحت "بااايض"، ووجدت أنني لم أستحق الستة آلاف ين.

قارنت ذهنيًا ثراء اليابان بثراء بلجيكا، واستنتجت - نظرًا لمثل هذا التفاوت - أن هذه الصفقة تمثل قطرة ماء في المحيط. كان يمكنني شراء ٦ تفاحات صفراء من السوبر ماركت بالستة آلاف ين. كان آدم مدينًا لحواء بهذا. قطعت خطاي أوموت - ساندو، وضميري مرتاح.

Twitter: @ketab_n

٣٠ يناير ١٩٨٩ . يومي العاشر باليابان كراشدة. منذ ما أسميته عودتي، وكل صباح، حين أفتح الستائر، كنت أكتشف سماءً بلون أزرق مثالي. ولأني كنتُ - على مدى سنوات ـ أفتح الستائر البلجيكية على لون رمادي كثيف، فكيف لا أُشيد بشتاء طوكيو؟ .

انضممت إلى تلميذي بمقهى أوموت ـ ساندو. تركز الدرس على حالة الطقس. فكرة جيدة، لأن الطقس ـ الموضوع المثالي لمن لا يجدون شيئًا يتحدثون عنه ـ هو الحوار الرئيسي والإجباري في اليابان.

فأن تلتقي بأحد ولا تتحدث معه عن حالة الطقس، يُرادف الافتقار إلى آداب السلوك.

بدا لي أن مستوى رينري قد تقدم منذ المرة الأخيرة. لا يمكن تفسير ذلك بسبب دروسي فحسب: لابد أنه ذاكر. لا شك أن فكرة الحوار مع فرنكفونية قد حفزه.

كان يحكي عن قسوة الصيف حين رأيته يرفع عينيه نحو شاب دخل للتو. تبادلا إشارة.

Twitter: @ketab_n

- من هذا؟ سألته.

- هارا، صديقي الذي يذاكر معي.

اقترب الشاب ليحيينا. قدمنا رينري بالإنجليزية. انتفضت:

- بالفرنسية، لو سمحت، فصديقك يتعلم هذه اللغة أيضًا.

تدارك تلميذي نفسه، وارتبك قليلاً بسبب التغيير المفاجئ للغة. ثم نطق بقدر استطاعته:

- هارا، أقدم لك إميلي، عشيقتي(*).

عانيت كثيرًا لإخفاء ضحكي الذي يمكن أن يثبط جهودًا جديرة بالثناء كهذه. لم أكن سأصحح له أمام صديقه؛ كان هذا سيحرجه.

كان يوم المصادفات: رأيت كريستين تدخل، الشابة البلجيكية اللطيفة التي كانت تعمل بالسفارة، وساعدتني على ملء الأوراق.

ناديتها.

بدا لي أنه كان دوري لأقدمهم. لكن رينري - في اندفاعته، راغبًا بلا شك في تكرار التدريب - قال لكريستين:

- أقدم لك هارا صديقي، وإميلي عشيقتي.

نظرت لي الفتاة بسرعة. تظاهرتُ باللامبالاة وقدمت كريستين للشابين. بسبب سوء التفاهم هذا، ومن خوفي أن أبدو متسلطة، لم أجرؤ على إعطاء أمر لتلميذي. ركزت على هدف واحد ممكن وهو

(*) المفارقة تكمن في أن كلمة maîtresse المستخدمة في الجملة، تعني "معلمة" و"عشيقة" في نفس الوقت، وإن كانت دلالة "العشيقة" هى الغالبة عليها في الحديث بين الكبار (المترجمة؛ وكل الملاحظات الهامشية التالية من عند المترجمة).

Twitter: @ketab_n

المحافظة على الفرنسية كلفة للحوار.

- أنتما الاثنتان .. بلجيكا؟ سأل رينري.

- نعم، ابتسمت كريستين. أنت تتحدث الفرنسية جيدًا.

- بفضل إميلي التي هي...

في هذه اللحظة قاطعت رينري لأقول:

- يدرس هارا ورينري الفرنسية في الجامعة.

- نعم، لكن ليس هناك أفضل من الدروس الخصوصية لتعلمها، أليس كذلك؟

وتّرني أسلوب تعامل كريستين، فلم أكن مقربةً منها بالقدر الكافي معها لأوضح لها الحقيقة.

- أين التقيتَ بإميلي؟ سألتُ رينري.

- في سوبر ماركت أزابو.

- هذا غريب!

نجونا من الأسوأ: كان يمكنه أن يجيب أننا التقينا عبر إعلان صغير.

أتت النادلة لتعرف طلبات القادمين الجدد. نظرت كريستين إلى ساعتها، وقالت إنها ستلتقي بشخص في موعد عمل وسيأتي الآن. في لحظة رحيلها، تحدثت معي بالهولندية:

- إنه وسيم، أنا سعيدة لأجلك.

حين انصرفَتْ، سألني هارا إن كانت تحدثت بالبلچيكية. أجبت بالإيجاب حتى أتفادى تفسيرًا طويلاً.

- تتحدثين الفرنسية بطلاقة، قال رينري بإعجاب.

Twitter: @ketab_n

"سوء فهم آخر"، فكرت بقنوط.

لم تعد لدي طاقة، ورجوت هارا ورينري أن يتحدثا بالفرنسية، مكتفية بتصحيح أكثر الأخطاء غير المفهومة. ما كان لديهما ليقولاه أدهشني:

- إن كنت ستأتي لمنزلي يوم السبت، هات معك صلصة هيروشيما.

- هل سيلعب ياسو معنا؟

- كلا، سيلعب بمنزل مينامي.

كنت أود معرفة ماذا سيلعبان. طرحت السؤال على هارا، لكن إجابته لم تكن أكثر وضوحًا من إجابة تلميذي بالدرس السابق.

- تعالَيْ أنتِ أيضًا، يوم السبت، للعب بمنزلي، قال هارا.

كنت متأكدة أنه يدعوني من باب التهذيب. وكنت أود جدًا أن أقبل الدعوة رغم هذا. خوفًا من أن ذهابي قد يزعج تلميذي، قمت باختبار الموقف:

- لا أعرف طوكيو، سأضل طريقي.

- سآتي لاصطحابك، اقترح رينري.

وأنا مطمئنة، شكرت هارا بحماس.

حين أعطاني رينري المظروف الذي يحتوي على راتبي، شعرت بإحراج أكثر من المرة السابقة. هدّأت ضميري بأن قررت أن أشتري هدية لمضيفي بهذا المال.

Twitter: @ketab_n

بعد ظهر يوم السبت، رأيت سيارة مرسيدس بيضاء فاخرة تصل أمام مسكني، نظيفة لدرجة أنها كانت تومض في الشمس. فيما كنت أقترب، انفتح الباب أتوماتيكيًا. كان تلميذي هو من يقود السيارة.

حين كان يتحرك في شوارع طوكيو، كنت أتساءل إن كانت مهنة والده لا تخفي انتماءه إلى الياكوسا(*). احتفظتُ بتساؤلاتي لنفسي. كان رينري يقود بلا كلام، مركزًا على زحام المرور الشديد.

من الزاوية، كنت أنظر إلى جانب وجهه، متذكرة الحديث الهولندي لكريستين. لم أكن لأفكر أبدًا أنه وسيم لو لم تقل رفيقتي ذلك. فضلاً عن ذلك، فلم أقتنع أنه وسيم. لكن قوة عنقه بقفاه الحليق منذ قليل، والثبات التام لملامحه، لم يكن ينقصهما تميز مثير للإعجاب.

كانت المرة الثالثة التي أراه فيها. كان يرتدي دائمًا نفس الملابس: سروال جينز أزرق، قميصًا أبيض، وسترة سوداء من جلد

(*) عصابات المجرمين، في اليابان.

Twitter: @ketab_n

الأيل. وفى قدميه، يرتدي حذاءً رياضيًا مما يرتديه رواد الفضاء. كان نحوله يثير إعجابي.

تجاوزته سيارة ثم انعطفت فجأةً أمامه بصورة مشينة. ترجل السائق، غير سعيد بمخالفته، وأمطر رينري بالصراخ المهين. بكل هدوء، اعتذر تلميذي بشدة. وانطلق الرجل الفظ مرة أخرى.

- لكنه مخطئ!، صرخت.

- نعم، قال رينري بهدوء.

- لماذا اعتذرت له؟

- لا أعرف الكلمة بالفرنسية.

- فلتقلها باليابانية.

- كانكوكوجين.

كلمة كورية. فهمت. ابتسمت داخلي من القَدَرية المهذبة لتلميذي.

كان هارا يسكن في شقة بالغة الصّغر. أعطاه صديقه علبةً ضخمةً من صلصة هيروشيما. أحسست أني حمقاء بإحضاري كمية من البيرة البلجيكية التي استُقبلت - رغم ذلك - بفضول صادق.

كان موجودًا شخصٌ ما اسمه مازا، كان يقطع كُرنبًا شرائح رقيقة، وفتاة أمريكية تُدعى إيمي. أجبرنا وجودها على التحدث بالإنجليزية، وهو ما جعلها كريهةً في نظري. أساءني أيضًا أكثر حين خمنت أنهم دعوها كي أشعر بالراحة، كما لو كنت سأعاني لكوني الغريبة الوحيدة.

Twitter: @ketab_n

ظنت إيمي أنه من المناسب أن تشرح لنا مدى معاناتها من اغترابها. ما أكثر ما كانت تفتقده؟ دون أن تضحك قالت: زبدة فول السوداني. كانت كل جُمَلها تبدأ بـ"في بورتلاند..". كان الشبان الثلاثة يستمعون إليها بأدب، رغم أنهم - من الواضح - كانوا يجهلون على أي ساحل أمريكي يقع هذا البلد، ولا يبالون بذلك. أما بالنسبة لي، فقد كنت أكره العداء الأوَّلي لأمريكا، ثم فكرت أن مَنع نفسي من كُره هذه الفتاة لهذا السبب هو شكل قذر من العداء الأوَّلى لأمريكا؛ تركت نفسي إذن لكراهية طبيعية.

كان رينري يقشر زنجبيلاً، ويقشر هارا الجمبري، وانتهى مازا من تقطيع الكُرنب إلى قطع صغيرة. جمَّعتُ هذه المعطيات في رأسي مع صلصة هيروشيما وصرختُ، مقاطعةً إيمي وسط جملةٍ عن بورتلاند:

- سنأكل أوكونومياكي!

- أتعرفينه؟ اندهش مضيفي.

- كان طبقي المفضل حين كنت أعيش في كانساي!

- هل عشتِ في كانساي؟ سأل هارا.

لم يخبره رينري بشيء. فهل فهم حتى كلمة مما رويته له بأول درس؟ حمدت الله فجأة على وجود إيمي التي تجبرنا على الحديث بالإنجليزية، وشرحت ماضيَّ الياباني بصوت مرتجف.

- ألديكِ الجنسية اليابانية؟ سأل مازا.

- كلا. لا يكفي أن تولد هنا. ليس هناك أصعب من الحصول على الجنسية اليابانية.

- يمكنكِ أن تصبحي أمريكية، علقت إيمي.

حتى لا أرتكب عملاً أخرق، بدلت الحوار بسرعة:

Twitter: @ketab_n

- أريد المساعدة، أين البيض؟

- من فضلك، أنت ضيفتي، قال هارا، فلتجلسي ولتلعبي.

نظرت حولي بحثًا عن لعبة، بلا جدوى. رأت إيمي ارتباكي وانفجرت ضاحكة.

- أسوبو، قالت.

- نعم، أسوبو، أن ألعب، أعرف، أجبت.

- كلا، لا تعرفين. فعل أسوبو ليس له نفس معنى فعل يلعب. باليابانية، ما إن تنتهين من العمل، ذلك ما يُسمى أسوبو.

ذلك هو إذن. غضبت من أن بورتلندية الجنسية هي التي تعلمني، وعلى الفور، بدأت أتحذلق حتى أعرّفها مقامها:

- فهمت[١]. ذلك يتطابق إذن مع مفهوم وقت الفراغ[٢] باللاتيني.

- لاتيني، استأنفت إيمي، مرعوبة.

مبتهجةً برد فعلها، قارنتُ وقت الفراغ باللغة اليونانية القديمة، دون استبعادُ أي أصول هندو ـ أوروبية للكلمة. سترى مَن منا هو الفقيه اللغوي، هذه البورتلندية.

حين استعدتُ موقفي القوي، صمتٌ وبدأت ألعب بطريقة الشمس المشرقة. تأملت إعداد عجينة فطيرة الكريب، ثم طهي الأوكونومياكي. رائحة الكرنب هذه، والجمبري والزنجبيل وهي تُطهَى معًا أعادتني ١٦ عامًا إلى الوراء، إلى الفترة التي أعدَّتْ لي

---

(١) مكتوبة بالإنجليزية. وتتناثر الكلمات الإنجليزية في النص، على غير نظام، وستأتي دائمًا بخطوط مائلة، دون الحاجة- من بعد- إلى إشارة.

(٢) مكتوبة باللاتينية.

Twitter: @ketab_n

فيها مربيتي اللطيفة نيشيو ـ سان نفس الطعام اللذيذ، الذي لم آكله أبدًا مرةً أخرى منذ ذلك الوقت.

كانت شقة هارا صغيرة لدرجة أن ما من تفصيلة واحدة أمكن أن تفلت مني. فتح رينري زجاجة صلصة هيروشيما متبعًا الخطوط المنقطة، ووضعها وسط المائدة المنخفضة. "ما هذا؟" تأوهت إيمي. أمسكتُ بالعلبة وشممتُ بحنين رائحة البرقوق المُر والخل والساكي والصويا. بدا كأنني تخدَّرتُ من محتوى العلبة.

حين تلقيتُ طبقي من الفطيرة المحشوة، نسيت تهذيبي الحضاري، وسقيت الفطيرة بالصلصة دون انتظار أحد، وهجمت.

ما من مطعم ياباني في العالم يقدم هذا الطبخ الشعبي المثير، البسيط جدًا والمرهف جدًا في آن واحد، اللذيذ جدًا والراقي جدًا. كان عمري خمس سنوات، ولم أكن أترك أبدًا تنورة نيشيو ـ سان، وكنت أصرخ وقلبي يتقطع، وحاسة التذوق في حالة نشوة. تلقفت الأوكونومياكي، وعيوني في الفراغ، أتأوه من النشوة.

حين أكلت كل الطعام، رأيت الآخرين ينظرون لي بحرج مهذب.

– لكل دولة عادات في تناول الطعام، تلعثمت. وهاكم قد اكتشفتم عادات البلجيكيين.

– آه يا إلهي! صرخت إيمي.

كان يمكنها أن تتحدث. أيًا ما كان ما تمضغه، فقد كانت تبدو كمن يمضغ علكة.

كان لمضيفي رد فعل أعجبني أكثر: فقد أسرع ليعد لي فطيرةً أخرى.

Twitter: @ketab_n

احتسينا بيرةِ كيرين. أحضرتُها من شيماي (البلجيكية)، وكانت متوافقة بصورة غريبة مع صلصة هيروشيما. أما بيرة الشعير الآسيوية فمثالية مع الطعام.

لم أعرف عمَّ يتحدث الضيوف. فما كنت آكله كان يستولي عليَّ تمامًا. كنت أعيش مغامرة للذاكرة ذات عُمق مثير، إلى حد ألا يجب أن يتوقع أحد أن يشاركني فيه.

من خلال تشويش انفعالي، تذكرت أن إيمي اقترحت ـ بعد ذلك مباشرة ـ أن نلعب لعبة تخمين الكلمات، وأن نلعبها بالمعنى الغربي للفعل. لم تتأخر في الندم علىَ هذه الفكرة: فاليابانيون مفرطون في القوة حين يتعلق الأمر برسم مفهوم. استقرت اللعبة بين اليابانيين الثلاثة، فيما كنت أهضم بنشوة، وخسرَت الأمريكية وهي تصرخ بغضب. حمدَت الله على وجودي لأنني كنت أيضًا ألعب أسوأ منها. وكل مرة حين يأتي دوري، كنت أرسم على الورقة شيئًا يشبه البطاطس المقلية!

ـ بالله عليك! صاحت، فيما لم يعد باستطاعة الشبان الثلاثة إخفاء مرحهم على نحو متزايد.

كانت أمسية رائعة، في نهايتها أعادني رينري للمنزل.

Twitter: @ketab_n

في الدرس التالي، لاحظت أن سلوكه قد تغير: كان يخاطبني كصديقة أكثر من معلمة. سعدتُ بذلك، فهذا يساعد على تقدمه؛ كان أقل خوفًا من الحديث. في المقابل، ذلك ما جعل الأمر أكثر إحراجًا، بالنسبة لي، حين أتلقى المظروف.

في لحظة افتراقنا، سألني رينري لماذا أحدد له دائمًا موعدًا في مقهي أوموت ـ ساندو هذا.

ـ أنا في طوكيو بالكاد منذ أكثر من أسبوعين، ولا أعرف مقهى آخر. فإن كنت تعرف أماكن أخرى، فلا تتردد في اقتراحها.

أجاب بأنه سيأتي لاصطحابي بالسيارة.

في الوقت نفسه، بدأ برنامج اللغة اليابانية للأعمال بالنسبة لي، ووجدت نفسي في الفصل مع أشخاص من سنغافورة، وألمانيا، وكندا، وكوريا، كانوا يظنون أن تعلم هذه اللغة هو مفتاح النجاح. كان هناك أيضًا إيطاليٌّ لكنه سرعان ما انسحب، غير قادر على حذق النبر الصوتي.

Twitter: @ketab_n

بالمقارنة به، فإن خلل نُطق الألمان، الذين يصرون على قول "فْي" بدلاً من "وي" بدا تافهًا. كنتُ ـ كما كنت دائمًا في حياتي ـ البلجيكية الوحيدة.

في عطلة نهاية الأسبوع، نجحتُ لأول مرة في الخروج من طوكيو. أوصلني قطار حتى مدينة كاماكورا الصغيرة، التي تبعد ساعة عن العاصمة. أبكتني إعادة اكتشاف اليابان القديمة الهادئة. فتحْتَ هذه السماء الزرقاء تمامًا، كانت أسقف القرميد الثقيلة المتعانقة والهواء الثابت بسبب الصقيع يقولان لي إنهما كانا ينتظرانني، وإنهما افتقداني، وإن ترتيب العالم قد استُعيد بعودتي، وإن ملكي سيدوم ٦ آلاف سنة.

كنتُ مصابة دائمًا بجنون العظمة الغنائي.

يوم الاثنين بعد الظهر، فَتحَت السيارةُ المرسيدس شاهقة البياض بابها لي.

– أين سنذهب؟

– إلى منزلي، قال رينري.

لم يكن لديَّ ما أجيب به. إلى منزله؟ كان مجنونًا. كان عليه أن يَحْذَرَني. يا لها من طريقة غريبة لياباني بالغ التهذيب!

ربما كان شعوري الداخلي تجاه موضوع انتمائه إلى عصابة الياكوسا هو ما يبرر الموقف. تفحصت معصميه: هل يتجاوز وشمٌ أكمامَ سترته؟ وقفاه الحليق برهافة، أي انتماء يعني؟

بعد طريق طويل، وصلنا إلى الحي الراقي دُن ـ إن ـ شُوفُو، حيث يسكن أثرياء طوكيو. رفع المرآب بابه بعد أن تعرف على

Twitter: @ketab_n

السيارة. كان المنزل يمثل فكرة أن الستينيات اليابانية هي اكتمال الحداثة. كانت تحيط بالمنزل حديقة بعرض مترين، وخندق أخضر مليء بالماء يحيط بهذا القصر الأسمنتي المريع.

رحب الأبوان بي وهما يدعوانني سنسي، مما ولَّد عندي رغبة شديدة في الضحك. بدا الأب كلوحة فن معاصر، وسيمًا وغامضًا، ومغطى بمجوهرات بلاتينية. أما الأم، العادية أكثر بكثير، فكانت ترتدي ثوبًا نسائيًا أنيقًا ومحترمًا. قدما لي شايًا أخضر، واختفيا بسرعة كبيرة، حتى لا يشوشا على جودة درسي.

كيف أبدو في رقي مثل هذا الموقف؟ لم أكن أتخيل نفسي أدفعه إلى ترديد كلمة "بيضة" في هذه القاعدة الواقعة بين النجوم. لماذا اصطحبني إلى هذه الأماكن؟ هل يُقدر تأثيرها عليَّ؟ كلا، بوضوح.

- هل عشت دائمًا بهذا المنزل؟ سألته.
- نعم.
- إنه رائع.
- كلاً.

لم يكن لديه الحق في الرد بإجابة أخرى. مع ذلك، فلم يكن مخطئًا تمامًا. فرغم كل شيء، يظل المسكن بسيطًا. فبأية دولة أخرى، كان يمكن لأسرة بهذا الثراء أن تعيش في قصر. لكن مقارنةً بمستوى المعيشة في طوكيو، على سبيل المثال بشقة صديقه هارا، فإن فيلا كهذه مذهلة بحجمها وهيبتها وهدوئها.

استأنفتُ الدرس على قدر استطاعتي، مجاهدةً ألا أتحدث مرةً أخرى عن المسكن أو عن والديه. لم يفارقني إحساس بالضيق رغم

Twitter: @ketab_n

ذلك. كنت أشعر أنني مراقَبة. وهو ما لا يمكن أن ينبع إلا من جنون الشك والاضطهاد. فليس من مستوى الأب والأم أن يقضيا وقتهما بتسلية كهذه.

تدريجيًا، شعرت أن رينري يشاركني هذا الشك. كان ينظر حوله بارتياب. فهل ينتاب شبحٌ ما هذا القصر الأسمنتي؟ قاطعني بإيماءة، وعلى أطراف أصابعه توجه إلى الدرج.

صرخ ورأيت انفجار رجل وسيدة عجوزين- كشيطانين قفزا من صندوق - يقهقهان ضحكًا ويتضاعف مرحهما برؤيتي.

- سنسي، أقدم لك جدتي وجدي.

- سنسي! سنسي! عوى العجوزان اللذان بدا أنهما لم يقتنعا بكوني مدرسة بقدر ما أبدو كآلة نفخ موسيقية.

- سيدتي، سيدي، مرحبًا...

كانت أقل كلماتي وحركاتي تجعلهما يضحكان حتى الجنون. كانا يلويان قسمات وجهيهما، يربتان على ظهر حفيدهما، ثم على ظهري، ويشربان الشاي من كوبي. لمست السيدة العجوز جبيني، وصرخَتْ: "يا لها من بيضاء!"، وانهارت من الضحك، وقلدها زوجها.

كان رينري ينظر إليهما وهو يبتسم، دون أن يفقد هدوءه. فكرت أنهما ولابد يعانيان من الخرف، وأن هؤلاء الناس رائعون أن يُبقوا معهم هذه البقايا البلهاء. بعد استراحة عشر دقائق، انحنى تلميذي أمام أسلافه ورجاهما أن يعودا لشقتهما ليستريحا، فلابد أنهما متعبان من هذا التدريب.

Twitter: @ketab_n

انتهى العجوزان المريعان بالامتثال، بعد التهكم كثيرًا على شكلي.

لم أفهم كل ما كانا يقولانه، لكن المعنى لم يفلت مني. حين اختفيا، نظرت إلى الشاب بعلامات استفهام بعيني. لكنه لم يقل شيئًا.

- جداك... متميزان، قلت.
- إنهما عجوزان، أجاب الشاب بتحفظ.
- هل حدث لهما شيء؟ ألححت.
- لقد شاخا.

لن أصل إلى شيء في هذا الأمر. أصبح تغيير الموضوع إجباريًا. لاحظت سلسلة "بانج وأولفسون" للأنظمة الصوتية، فسألت أي نوع من الموسيقى يستمع إليه. حدثني عن ريوتشي ساكاموتو. ومن موضوع إلى آخر، وصلنا إلى نهاية درس أثّر فيَّ على نحو غير مسبوق. حين تلقيت المظروف، فكرت أنني لم أسرقه. أعادني للمنزل دون أن ينطق بكلمة.

سألت وعلمت أن تلك الظواهر سائدة في اليابان. بهذا البلد، حيث يجب على الناس التعامل بأدب طوال حياتهم، كثيرًا ما ينهارون على عتبات الشيخوخة، ويُسمح لهم بالتصرفات الأكثر جنونية، وهو ما لا يمنع عائلاتهم من الاعتناء بهم، وفقًا للتقاليد.

وجدت هذا الموقف بطوليًا. لكن في الليل، هاجمتني الكوابيس التي كان جدًّا رينري يشدان فيها شعري، ويقرصان خدودي، وينفجران في الضحك.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حين عَرَضَت المرسيدس النظيفةُ مرةً أخرى حُسنَ ضيافتها، ترددت في استقلالها.

- هل سنذهب إلى منزلك؟

- نعم.

- ألا تخشى من انزعاج والديك وخاصةً جدَّيك؟

- كلاً. لقد سافروا في رحلة.

ركبت بجانبه.

قاد السيارة دون أن يتحدث. كنت أحب لو تمكنا في هذا الوقت من عدم الثرثرة دون أن يولد هذا أدنى حرج؛ فذلك ما سيسمح لي بمشاهدة المدينة بطريقة أفضل، وأحيانًا الصورة الجانبية الثابتة بشكل مذهل لتلميذي.

في منزله، أعد لي شايًا أخضر، أما هو فأخذ كوكاكولا، تفصيلة راقت لي لأنه لم يسألني حتى عن رأيي. فمن البديهي أن أجنبية ستبتهج بهذا الذوق الياباني الرفيع، فيما أصابه الملل من هذه الأشياء اليابانية.

- إلى أين سافرت عائلتك؟

Twitter: @ketab_n

- إلى ناجويا. هي مدينة جدي.
- أتذهب إلى هناك أحيانًا؟
- كلاَّ، إنه مكان مُمل.

كنت أقدر إجاباته المباشرة. وأدركتُ أنه كان يعني والدَي الأم. فقد توفى جداه لوالده، وهو خبر أراحني: لا يوجد إذن سوى وحشين في هذا الكوكب.

بدافع الفضول، تجرأت وطلبت منه أن أتفقد المنزل. لم ينزعج من الطلب، وقادني عبر متاهة غرف وسلالم. كان المطبخ والحمامات تستحق وزنها الحداثي. وكانت الغرف بسيطة إلى حدٍّ ما، خاصةً غرفته: فِراش بدائي محاط بمكتبة.

نظرتُ إلى العناوين: الأعمال الكاملة لكايكو تاكشي، كاتبه المفضل، وأيضًا ستاندال وسارتر. كنت أعرف أن الأخير يعشقه اليابانيون الذين يجدونه غريبًا بجنون: إنه نفور شديد من حصى مصقولة من البحر، كانت تشكل - في هذه المرحلة - نقيض السلوك الياباني، الذي كان هذا الكاتب يستفز فيه السحر الذي يستثير الغريب.

أبهجني وجود ستاندال وأدهشني أكثر. أخبرته أنه كان أحد آلهتي. فرح. رأيته يبتسم كما لم أره من قبل.

- ذلك ممتع، قال.

كان محقًا.

- أنت قارئ جيد.

- أظنني قضيت حياتي على هذا السرير، وأنا أقرأ.

Twitter: @ketab_n

نظرتُ إلى الفراش الياباني بمحبة، متخيلة تلميذي الذي قضى فيه السنوات، وبيده كتاب.

- لقد تقدمت كثيرًا في الفرنسية، قلت له.

أشار إليَّ بيده المفتوحة، كتفسير.

- كلاً، لستُ معلمة جيدة إلى هذه الدرجة. هذا بفضلك أنت.

هز كتفيه.

في طريق العودة، لاحظ إعلانًا على متحف، غير مقروء بالنسبة لي.

- أتودين زيارة هذا المعرض؟ سألني.

هل كنت أود رؤية معرِض أجهل كل شيء عنه؟

- أجل.

- سآتي لأصطحبك غدًا بعد الظهر، قال.

أعجبتني فكرة عدم معرفة ما إذا كنت سأرى رسمًا أم نحتًا أم استعادة أحداث لأشياء متنوعة. لابد دائمًا من حضور معارض كهذه، بالصدفة، بجهل تام. فثمة شخصٌ ما يريد أن يرينا شيئًا ما: ذلك فحسب ما يوضع في الاعتبار.

مساء اليوم التالي، لم أفهم أكثر موضوع المعرض. كانت هناك لوحات معاصرة غالبًا، لكنني لم أكن متأكدة؛ ومنحوتات بارزة كنتُ عاجزة عن التعليق عليها. سرعان ما علمت أن العرض كان بالصالة. وأكثر ما سحرني، كان جمهور طوكيو الذي يتوقف باحترام أمام كل لوحة ويراقبها لوقت طويل بجدية.

كان رينري يفعل مثلهم. انتهيت بسؤاله:

- هل يعجبك؟

- لست أدري.

Twitter: @ketab_n

- هل يثير اهتمامك؟
- ليس كثيرًا.

انفجرت ضاحكةً. نظر الناس إليّ بإحراج.

- ما الذي سيحدث إن كان يثير اهتمامك؟

لم يفهم سؤالي. ولم أصر.

عند خروجنا من المتحف، كان أحدهم يوزع منشورات. لم أتمكن من فهمها، لكني عشقت الحماسة التي كان كل شخص يتقبل بها الورقة ويقرؤها. لابد أن رينري قد نسي أني لا أبرع تقريبًا في فك رموز الأفكار؛ لأنه ـ بعد أن قرأ منشوره ـ سألني وهو يريني إياه إن كنت أود الحضور. ليس ثمة ما لا يقاوم في ذلك أكثر من أمر يرسلني إلى شيء ما مجهول. وافقت بكل حماس.

ـ إذن سآتي لاصطحابك مساء بعد الغد، قال.

ابتهجت بفكرة عدم معرفة إن كنا سنذهب إلى مظاهرة ضد التسلح النووي، أم إلى حدَث لمخرج فيديو، أم عرض لرقص البوتو. كان من المستحيل تحديد نوع الملابس، فارتديت ملابس حيادية تمامًا. وراهنت أن رينري سيرتدي ملابسه المعتادة. في الواقع، كان متنكرًا بشخصيته هو حين اصطحبني إلى ما تبين أنه افتتاح معرض لوحات فنية.

كان فنانًا يابانيًا، نسيت اسمه بدقة. بدت لي لوحاته مضجرةً باستفزاز شديد، وهو ما لم يمنع الجمهور من التصرف أمام كل لوحة بهذا الاحترام الرائع، وهذا الصبر الرفيع، اللذين يتسم بهما هذا الجمهور. وجعلتني أمسية كهذه أتصالح مع النوع الإنساني، لو لم يكن الرسام موجودًا للأسف. فيصعب عليَّ تصديق أن هذا

Twitter: @ketab_n

الرجل البشع للغاية، الذي يبلغ نحو ٤٥ عامًا، ينتمي إلى نفس الشعب. أتى الكثيرون لتهنئته، وشراء لوحة أو أكثر من اللوحات رغم أنها باهظة الثمن تمامًا. كان ينظر بازدراء إلى هؤلاء الأشخاص الذين يعتبرهم بلا شك كشَرٍّ لا مفر منه. لم أستطع منع نفسي من الذهاب للحديث معه.

- معذرة، لا أستطيع فهم رسمك. أيمكن أن تشرحه لي؟
- لا يوجد ما يُفهم، أو يُشرح، أجاب باشمئزاز. يجب أن تشعري به.
- بالضبط، فأنا لا أشعر بشيء.
- إنه خطؤك.

لم أجب. فيما بعد، بدا لي أن حديثه كان متسقًا. تعلمت من هذا الافتتاح أمرًا لم يفدني أبدًا كما ينبغي: إن أصبحتُ فنانة ذات يوم، موهوبةً أو بلا موهبة، فسأعرض لوحاتي في اليابان. فالجمهور الياباني أفضل جمهور في العالم، وهو - فضلاً عن ذلك - يشتري اللوحات. وحتى بمعزل عن المال، فلابد أنه من الجميل، بالنسبة للمبدع، أن يرى عمله يُنظر إليه بهذا الاهتمام!

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

في الدرس التالي، طلب رينري مني أن نتناول مسألة التكلف. اندهشت من أن هذه الفكرة تشغل بال مَن يستخدم لغةً تُبدي التهذيب الأكثر تعقيدًا.

ـ نعم، قال. لكن، على سبيل المثال، نحن نلتقي. لماذا؟

ـ لأنني معلمتك.

تقبل تفسيري بلا تردد. فكرتُ وأضفت:

ـ إن كان ذلك يسبب مشكلة لك، فيمكننا أن نقرر رفع الكُلفة.

ـ لا، لا، قال، باحترام شديد لما كان يبدو له أنه إحدى العادات.

وجهت الدرس نحو اعتبارات عادية أكثر. في النهاية، وهو يعطيني المظروف، سألني إن كان بمقدوره المجيء لاصطحابي بعد ظهر السبت.

ـ إلى أين سنذهب؟ سألته.

ـ نلعب.

عشقت الإجابة ووافقت.

من جانبي أيضًا، كنت أحضر دروسًا وأتقدم في اليابانية قدر

Twitter: @ketab_n

استطاعتي. لم أدخر وسعًا في تشويه صورتي؛ فكل مرة تحيرني تفصيلة، كنتُ أرفع يدي. ويكاد المعلمون المختلفون يصابون بأزمة قلبية حين يرونني ألوّح بأصابعي نحو السماء. كنت أظنهم يصمتون ليتركوني أتحدث وأطرح سؤالي بلا خوف، حيث يجيبون بإجابات غير مرضية بطريقة غريبة.

استمر ذلك حتى اليوم الذي لاحظ فيه أحد المعلمين إشارتي المعتادة، فبدأ يصرخ فيَّ بعنف شديد:

ـ كفى!

ظللت متحجرة من الاندهاش، فيما كان كل الطلاب ينظرون لي بثبات.

بعد الدرس، ذهبت للاعتذار للمعلّم، وبالذات لمعرفة ماهية جريمتي.

ـ نحن لا نطرح أسئلة عن سنسي، أنّبني المعلم.

ـ لكن، ماذا إن كنت لا أفهم؟

ـ تفهمين!

أدركت عندئذ لماذا كان تعليم اللغات يعرج في اليابان.

كانت هناك أيضًا الواقعة التي كان يجب فيها على كل واحد منا أن يتحدث عن بلده. حين جاء دوري، انتابني الإحساس بأنني ورثت ملفًا صعبًا. تكلم كل منهم عن بلد معروف. كنت الوحيدة التي يجب أن تحدد في أية قارة تقع بلدي. أسفت لوجود الطلاب الألمان، فبدونهم كان يمكنني أن أزعم أي شيء، وأعرض خريطة جزيرة بوسط المحيط الهادي، وأذكر عادات بدائية مثل طرح أسئلة على

Twitter: @ketab_n

المعلم. كان ينبغي أن يكون حديثًا كلاسيكيًا، خلاله رأيت الطلاب السنغافوريين يكشفون عن أسنانهم الذهبية بحماسة أزعجتني.

بعد ظهر يوم السبت، بدت لي المرسيدس أكثر بياضًا عن المعتاد.

علمت أننا سنذهب إلى هاكون. وبما أنني لا أعرف شيئًا عن هذا المكان، طلبت معلومات إضافية. بعد أن ارتبك قليلاً، قال ريني إنني سأرى. بدا الطريق بلا نهاية، ويتميز برسوم عبور عديدة.

انتهينا بالوصول إلَى بحيرة شاسعة محاطة بالتلال وبوابات التوري[1] الرائعة. يأتي الناس إلى المكان للقيام بجولات صغيرة بالمركب أو بقارب التجديف. وهذه التفصيلة الأخيرة ولَّدت لديَّ الرغبة في الضحك. فقد كانت هاكون نزهة الأحد لسكان طوكيو المقلدين للامارتين[2].

تنزهنا على الأمواج في نوع من العبَّارات. ابتهجت من مشهد العائلات اليابانية المعجبة بالمكان فيما يجرعون كأسهم الأخيرة، وعشاق في أزياء عشاق، واليد في اليد.

- هل اصطحبت حبيبتك إلى هنا من قبل؟ سألت.
- ليس لديَّ حبيبة.
- في الماضي، أكان لديك حبيبة؟
- نعم. لم أصطحبها إلى هنا.

كنتُ إذن أول من تحظى بهذا الشرف. لابد لأنني أجنبية.

---

(١) التوري : tori بوابة يابانية تقليدية.

(٢) هو الشاعر الفرنسي الرومانتيكي الفونس دي لامارتين (١٧٩٠-١٨٦٩).

Twitter: @ketab_n

على المركب، كان مكبر صوت يبث أغنيات رقيقة. كانت هناك محطة بالقرب من التوري: نزلنا وقطعنا مشوارًا ملحوظًا وشاعريًا. كان العشاق يتوقفون بأماكن محددة لهذا الغرض، ويشاهدون بانفعال مشهد البحيرة عبر التوري. كان الأطفال يقهقهون كأنهم يحذرون العشاق من مستقبل كل هذه الرومانتيكية. وكنت مستمتعة.

بعد هذه المغامرة البحرية، عرض رينري عليَّ كوري(*): كنت أعشق هذا الآيس كريم المخفوق المسقي بشراب شاي الحفلات. لم آكله منذ طفولتي. كان الآيس كريم يقرمش تحت أسناني.

خلال رحلة العودة، كنت أتساءل لِمَ اصطحبني هذا الشاب إلى هاكوني. بالتأكيد، كنت سعيدة بهذه الرحلة المثالية، لكن بالنسبة له، لماذا أراد أن يريني هذا؟ لا شك أني كنت أطرح أسئلة كثيرة. أكثر من شعوب الكرة الأرضية الأخرى، فيما يقوم اليابانيون بالأشياء لأن تلك هي طبيعة الأمور. وكان هذا ما في الأمر.

(*) هو نوع من "الآيس كريم".

Twitter: @ketab_n

كنت أحس أن رينري ينتظر أن أدعوه إلى منزلي. فذلك هو الحد الأدنى من الكياسة؛ فقد ترددت كثيرًا على منزله.

ومع ذلك، رفضت الأمر بعناد. فقد كانت دعوة أيٍّ مَن كان إلى منزلي تمثل دائمًا تجربة رهيبة. فبحكم التعريف، ليس مسكني مكانًا يمكن التردد عليه، لأسباب يتخطى تفسيرها قدراتي.

فمنذ أن حققت استقلالي، فكل مسكن أقيم به يشبه بالبديهة مخزنًا احتله لاجئون سياسيون، مستعدون لتركه فورًا إثر أصغر هجوم للشرطة.

في بداية مارس، تلقيت اتصالاً هاتفيًا من كريستين. كانت ستسافر لمدة شهر إلى بلجيكا لرؤية والدتها، وطلبت مني معروفًا؛ أن أقيم بمسكنها أثناء غيابها، حتى أسقي النباتات الخضراء. قبلت ومررتُ عليها. لم أصدق عيني: كانت تقيم بأكثر المساكن طليعيةً في طوكيو، شقة رفيعة ببناية من المستقبل، تطل على أبنية مستقبلية أخرى. وفمي مفتوح، استمعت إلى كريستين وهي تشرح لي طريقة عمل هذه المعجزة حيث كل شيء بالكمبيوتر. وبدت النباتات الخضراء كبقايا لما قبل التاريخ، يكمن هدفها الوحيد في استخدامها كذريعة للإقامة بهذا المكان لمدة شهر.

Twitter: @ketab_n

انتظرت بنفاد صبر سفر كريستين، وانتقلت إلى هذه القاعدة الفضائية. بلا شك، لم أكن بمنزلي. فبكل غرفة، جهاز تحكم عن بُعد يسمح ببرمجة الموسيقى، بل أيضًا درجة حرارة المنزل وكل ما يجري عن قُرب. وأنا نائمة على الفراش، كان يمكنني طهي الطعام بالموقد الكهربائي، وتشغيل الغسالة، وغلق ستائر غرفة الجلوس.

فضلاً عن ذلك، كان المبنى يقع على مرمى حجر من ثكنة إيشيجايا حيث قام ميشيما(*) بطقوس انتحاره. كنت أشعر أنني أسكن بمكان له أهمية استثنائية، ولم أتوقف عن أن أذرع الشقة جيئةً وذهابًا وأنا أستمع إلى باخ، فيما ألاحظ التوافق الغامض للبيانو القيثاري مع هذا المشهد الحضري للخيال، وهذه السماء بالغة الزرقة.

بالمطبخ، محمصة الخبز، الذكية، تدفع الخبز المحمص حين تشعر أنها اللحظة المناسبة. كنت أسمع آنذاك رنينًا يفتنني. برمجتُ حفلات موسيقية بمساعدة إشارات الجهاز المنزلي الكهربائي.

لم أعط رقم هاتف هذا المكان سوى لشخص واحد لم يتأخر عن الاتصال بي.

- كيف حال الشقة؟ سأل رينري.

- بالنسبة لك، ربما ستبدو عادية. أما بالنسبة لي، فهي رائعة. ستأتي إلى هنا يوم الاثنين للدرس، وستراها.

(*) هو الكاتب الياباني الشهير "يوكيو ميشيما" (١٩٢٥-١٩٧٠). وقد قام بطقوس انتحاره - بطريقة "السويبوكو" (تمزيق الأحشاء)، عقب فشل محاولة انقلاب شارك فيها، بقاعدة إيشيجايا العسكرية.

Twitter: @ketab_n

ـ الاثنين؟ اليوم الجمعة. والاثنين بعيد. أيمكنني المجيء هذا المساء؟

ـ لتناول العشاء؟ أنا عاجزة عن الطهي.

ـ سأتكفل بكل شيء.

بقدر ما سرني ذلك، فلم أجد أية ذريعة لأرفض. كانت المرة الأولى التي يبدو بها تلميذي مبادرًا. فلا شك أن شقة كريستين قد وُجدت لسببٍ ما. مكانٍ محايد، وذلك ما يغير الوضع.

في الساعة السابعة مساءً، ظهر وجه شاب بشاشة الاتصال الداخلي وفتحتُ له. وصل بحقيبة جديدة تمامًا.

ـ هل أنت مسافر؟

ـ كلا، أتيت لأطهو لك.

أريته المنزل الذي أبهره بنسبة أقل مني.

ـ إنه جميل، قال. هل تحبين مخفوق الجبن السويسري؟

ـ نعم. لماذا؟

ـ جيد. جلبت الأدوات.

كان عليَّ أن أكتشف تدريجيًا العبادة التي يكرسها اليابانيون للأدوات المخصصة لكل عمل بالحياة: أدوات للجبل، أدوات للبحر، أدوات للجولف.. وهذا المساء، أدوات لمخفوق الجبن السويسري. لدى رينري، كانت هناك غرفة مرتبة جيدًا حيث كانت الحقائب معدة بالفعل لهذه العمليات المتعددة.

أمام عينيَّ المبهورتين، فتح الشاب الحقيبة المحددة ورأيت ظهور موقد له قوة دفع لما بين المجرات، وطبق خفق الجبن المانع

Twitter: @ketab_n

للالتصاق، وكيس جبن بولستيرين ذائب، وزجاجة نبيذ أبيض مضاد للتجمد، وقطع خبز محمص غير قابل للتعفن، مرصوصة بطريقة ثابتة في الحقيبة. وضع هذه الأشياء الاستثنائية على المنضدة الزجاجية.

- هل أبدأ؟ سأل.

- نعم، أتشوق لرؤية هذا.

سكب البولستيرين والنبيذ في طبق خفق الجبن، وأشعل الموقد الذي لم ينطلق - للغرابة - نحو السماء. وفيما كانت هذه المواد تُصدر معًا ردود أفعال كيميائية متعددة، أخرج من الحقيبة ما يبدو أنها أطباق من تريول النمسوية، وشِوكًا طويلة، وكؤوسًا لـ"باقي النبيذ".

هرولت لأُحضر كوكاكولا من الثلاجة، متأكدةً أنها ستتماشى جيدًا مع مخفوق الجبن السويسري، وملأت كأسي.

- انتهى الإعداد، أعلن.

جلسنا بشجاعة بمواجهة بعضنا البعض، وغامرت بقطعة خبز غير قابلة للتعفن على طرف الشوكة وغمستها بالخليط. سحبتها واندهشت من عدد الخيوط الرائع الذي تكوَّن على الفور.

- نعم، قال رينري بفخر، هذه العملية نجحت جدًا بالخيوط.

فالخيوط هي، كما يعرف الجميع، الهدف الحقيقي من خفق الجبن السويسري. وضعت الهدف في فمي ومضغت: لم يكن له طعم تمامًا. أدركت أن اليابانيين يعشقون أكل مخفوق الجبن السويسري بسبب الجانب المرح من العملية، وأنهم اخترعوا نوعًا يستبعد التفصيلة الوحيدة المزعجة لهذا الطبق التقليدي: مذاقه.

- رائع، أكدت، وأنا أخفي مرحي.

Twitter: @ketab_n

أحس رينري بالسخونة، ولأول مرة، رأيته دون سترته من جلد الأيل الأسود. ذهبت لأحضر زجاجة الصلصة الحارة، زاعمةً أن الجبن السويسري المخفوق يؤكل ببلجيكا مع الفلفل الحار. أغرقت قطعة خبز في الجبن الساخن، صانعةً شبكة من ألف خيط، ووضعت المكعب الأصفر في طبقي وأضفت الصلصة الحارة، ليصبح له طعم. كان الشاب يراقب حيلتي، وأقسم أني رأيت بعينيه هذه الملاحظة: "البلجيكيون أشخاص غريبون". والمستشفى لم يكن يعبأ بالأعمال الخيرية.

سرعان ما تعبت من مخفوق الجبن المعاصر.

ـ هيا يا رينري، احكِ لي.

ـ لكن... لم تقولي: حضرتك.

ـ حين نتقاسم مثل هذا المخفوق مع أحد، لا نقول حضرتك.

لابد أن البولستيرين الذائب كان لا يزال ينتشر بدماغي، الذي كان يجمع هذا الانتشار في شكل هذيان من التجربة. وفيما كان رينري يشحذ زناد فكره ليجد ما يحكيه، أطفأت الموقد بالنفخ، عملية فاجأت الياباني، أفرغت باقي النبيذ المضاد للتجمد في الخليط ليبرد، وغصتُ بيديَّ الاثنتين في هذه المادة اللزجة.

صرخ ضيفي:

ـ لماذا فعلتِ هذا؟

ـ لأرى.

سحبت يديَّ ولعبت بلفافة الخيوط التي كانت تربطهما، وصنعت طبقة سميكة من الجبن المزيف من الخيوط كقفاز.

Twitter: @ketab_n

ـ كيف ستغتسلين؟

ـ بالماء والصابون.

ـ كلا، فهذا شديد اللزوجة. فطبق مخفوق الجبن مانع للالتصاق، ويداك ليستا كذلك.

في الواقع، لم ينجح مسحوق غسيل الأطباق ولا ماء الصنبور المتدفق في إزالة أي جزء من قفازيَّ الصفراوين.

ـ سأحاول تقشير يدي بسكين مطبخ.

أمام عينَيْ رينري المرعوبتين، بدأت أنفذ هذا المشروع. ما كان يجب أن يحدث حدث: جرحت كفي، وتدفق الدم من الغشاء المغطي بالبلاستك. وضعت الجرح في فمي حتى لا أحول المكان إلى مسرح جريمة.

ـ اسمحي لي، قال الشاب.

ركع وأمسك بيدي وبدأ يقشرها بأسنانه. كانت بلا شك أفضل طريقة، لكن منظر هذا الفارس الراكع أمام السيدة، حيث يمسك أصابع يديها بكل رقة لقضم الجبن، جعلني أنفجر ضحكًا. لم يصبني أي غزَل بهذا الذهول أبدًا.

لم يترك رينري نفسه للارتباك وقشّر حتى النهاية. دامت العملية وقتًا لا نهائيًا، كنت أتمعن خلاله في غرابة الموقف. بعد ذلك، بحرَفية كاملة، نظف أصابعي في الحوض بمنظف وإسفنجة كاشطة.

حين انتهى العمل، تأمل ما أنقذه بدقة وتنهد بارتياح. هذا الحادث أدى دور التنفيس له. أخذني بين ذراعيه ولم يتركني.

Twitter: @ketab_n

صباح اليوم التالي، أيقظني إحساسي بأن يديَّ جافتان بصورة مؤلمة. وأنا أغطيهما بالكريم، تذكرت الأمسية والليلة. كان هناك إذن شاب بالفراش. فأية استراتيجية سأعتمدها؟

أيقظته من نومه وأخبرته بكل رقة أن التقاليد، ببلدي، تقضي برحيل الرجل في الفجر. فشلنا في ذلك بالفعل، لأن الشمس كانت ساطعة. سنُرجع هذا الفشل للبُعد الجغرافي. ومع ذلك، فلن نسيء استخدام هذه الحجة. سأل رينري إن كان العُرف البلجيكي يسمح لنا بأن نلتقي مجددًا.

- نعم، أجبت.

- سأمر لاصطحابك في الثالثة عصرًا.

لاحظتُ بسرور أن دروسي عن رفع الكُلفة قد أتت ثمارها. استأذن في المغادرة بمنتهى الأدب. رأيته يبتعد بحقيبة خفق الجبن السويسري.

ما إن أصبحت بمفردي، حتى أحسست بسعادة غامرة. تذكرت الأحداث بمزيج من الفرح والاندهاش. لم تكن غرابة رينري هي

Twitter: @ketab_n

أكثر ما أدهشني، بل بالأحرى تلك الغرابة الفائقة: أن أتعامل مع شخص لطيف وساحر. لم يجرحني بأية لحظة سواء بفعل أو بكلمة. لم أكن أعرف أن ذلك كان موجودًا.

أعددت نصف لتر من الشاي القوي واحتسيته، وأنا أتفرج عبر النافذة على ثكنة إيشيجايا. لم تكن لدي أية رغبة بالانتحار بطريقة السوبوكو(*) اليابانية هذا الصباح. بل ثمة حاجة استثنائية للكتابة. فلتختبئ طوكيو من موجة الصدمة: لا مفر من المحتوم. ألقيت بنفسي على الصفحة البيضاء مقتنعةً أن الأرض ستنتفض مما سيحدث.

الغريب أن الزلزال لم يحدث. بسبب المنطقة التي كنت فيها، كان هذا الهدوء الأرضي إحدى الغرائب التي ربما ينبغي أن نرجعها لأخبار مبشرة.

أحيانًا، كنت أتوقف عن الكتابة وأتأمل طوكيو عبر النافذة المفتوحة وأنا أفكر: "أنا على علاقة بشخص من هنا". كان ذلك يصيبني بالذهول ثم أواصل كتابتي. وقد مر اليوم بأكمله على هذا النحو. أيام كهذه تكون ممتازة.

في اليوم التالي، لم يكن لدقة المرسيدس مثيل سوى لونها الأبيض.

تغير رينري. لم تعد ملامحه كسائق تتسم بالثبات والجمود. كان سكوته ينبع من إحراج ممتع.

(*) السوبوكو seppuku أو الهاراكيري :harakiri طريقة للانتحار من خلال تمزيق الأحشاء، وتنتمي - في الأصل - إلى الساموراي.

Twitter: @ketab_n

- أين سنذهب؟ سألت.

- سترين.

ستصبح هذه الإجابة إحدى كلاسيكياته؛ وسواء كانت الوجهة رائعة أو نادرة، فلن تُجاب أسئلتي سوى بـ"سترين". "سترين"، كانت سيثيريا(*) بالنسبة لهذا الشاب، كمكان مؤثر، وظيفته الوحيدة هي تحديد اتجاه السيارة.

بدأ يوم الأحد هذا بـ"سترين" الذي اختار أن يقع في طوكيو: حديقة الألعاب الأولمبية. بدت لي الفكرة جيدة لما لها من مغزى، لكني كنت لا أبالي بها: فحتى تحت أنبل الشعارات، لم تتمكن المنافسات من أن تستهويني أبدًا. نظرتُ إلى الاستاد والأجهزة الرياضية بلباقة المحايدين المثالية، وسمعت شروح رينري الشحيحة دون انتباه إلا لتقدمه باللغة الفرنسية: بأولمبيات اللغات الأجنبية، ستؤول الميدالية الذهبية إليه.

لم نكن العشيقين الوحيدين - لو شئنا استخدام المصطلح الشائع - اللذين يتنزهان حول الاستاد. كنت أعشق هذا الجانب "المسار الإجباري" لمغامراتنا: لقد وضع تراث هذا البلد تحت تصرف العشاق - ليوم أو لحياة - نوعًا من البنية التحتية يستهدف ألا يشكل شغلهم للوقت مشكلة. كان هذا يشبه لعبة مجتمع. أتشعرون بشيءٍ ما تجاه شخصٍ ما؟ بدلاً من التفكير من الظهر حتى الثانية بعد الظهر عن الطبيعة المحددة لمشكلتك، فلتأتِ بهذا الشخص إلى

(*) سيثيريا Cythère هي جزيرة بالبحر المتوسط مشهورة بعبادة فينوس إلهة الحب والجمال.

Twitter: @ketab_n

إحدى خانات لعبتنا المونوبولي(*) أو بالأحرى إلى المونوبولي الخاص بنا؟ سترون.

كانت "سَتَرين" الفلسفة الأفضل. لم تكن لديَّ أنا ورينري أية فكرة عما نفعله معًا أو إلى أين نذهب. بحجة زيارة أماكن معينة باهتمام مشترك، كنا نستكشف بعضنا البعض بفضول لطيف. كانت خانة الانطلاق من المونوبولي الياباني تسحرني.

أمسك رينري يدي، كما يمسك كل حبيب بالطريق بيد من معه. أمام المنصة العالية، قال لي:

- هذه هي المنصة.

- آه، أجبت.

وأمام حمام السباحة، قال لي:

- هذا هو حمام السباحة.

- هذا هو إذن، أجبت بكل جدية.

لم أكن لأبدل مكاني مع أي شخص آخر. كنت مستمتعة على نحو مبالغ فيه وأحقق اكتشافات جديدة، وأنا أمشي باتجاه الحلَبة لأسمع "هذه هي الحلَبة"... إلخ. فهذه الإشارات كانت تبهجني.

في الخامسة عصرًا، شأن عدد كبير من العاشقات المحليات، تلقيت آيس كريم بشراب الرمان الكثيف. قضمت بحماس الآيس كريم المكدس الملون. وإذ لاحظت أن الأمر يستحق إبداء إشارات رقيقة للعرفان بالجميل للمانحين الكرماء المحيطين، فلم أبخل في

(*) المونوبولي: لعبة ذات أصل أمريكي، ولها "رقعة" مرسومة بشوارع ومناطق سكنية وخطوط للسكك الحديدية... إلخ. وأدوات اللعب هي "الكروت" و"النرد".

Twitter: @ketab_n

إظهارها. أعجبني هذا الانطباع بأن أحاكي ردود فعل الأشخاص المجاورين لي.

عند حلول الليل، بدأ الطقس في البرودة. سألت رينري عما هو المونوبولي الذي يخططه للمساء.

- عفوًا؟ سألني.

لأخرجه من إحراجه، دعوته إلى شقة كريستين. بدا سعيدًا أكثر من كونه مرتاحًا.

لم تكن "سترين" بهذه الروعة سوى في حضن أثاث راق في طوكيو. انطلقت موسيقى باخ ما إن فتحت الباب.

- هذا باخ، قلت.

لكلٍّ دوره.

- أحبه كثيرًا، علق رينري.

التفت نحوه وأشرت إليه بإصبعي:

- هذا أنت.

بعد الحب، لم تعد هناك قاعدة. على الوسادة، اكتشفت شخصًا متميزًا. نظر لي طويلاً ثم قال:

- كم جميلة أنت.

إنها الإنجليزية المترجمة بشكل سيئ إلى الفرنسية. ولم أكن لأصححها له مقابل أي شيء بالعالم. فلم يرني أحد أبدًا جميلة.

- اليابانيات أجمل بكثير، قلت.

- هذا ليس صحيحًا.

Twitter: @ketab_n

ابتهجت بذوقه السيئ.

- احك لي عن اليابانيات.

هز كتفيه. ألححت. انتهى بالقول:

- لا يمكنني أن أشرح لك. يزعجنني. لسن على طبيعتهن.

- ربما لا أكون على طبيعتي أنا أيضًا.

- بلى. أنت هنا، أنت موجودة، تنظرين. هن، يسألن طوال الوقت إن كن يعجبنك. لا يفكرن سوى بأنفسهن.

- غالبية الغربيات مشابهات.

- أنا وأصدقائي، نشعر أننا مرايا لهؤلاء الفتيات.

تظاهرت أني أنظر إلى نفسي فيه، وأعيد تصفيف شعري. ضحك.

- هل تتحدث كثيرًا عن الفتيات مع أصدقائك؟

- ليس كثيرًا. الأمر محرج. وأنتِ، هل تتحدثين عن الشبان؟

- لا، هذا أمر حميمي.

- الفتيات اليابانيات، على العكس. مع الشاب، يكن في غاية الاحتشام. ثم يذهبن ليحكين كل شيء لصديقاتهن.

- الغربيات، يفعلن نفس الشيء.

- لماذا تقولين هذا؟

- لأدافع عن اليابانيات. لابد أنه صعب أن تكون المرأة يابانية.

- صعبٌ أيضًا أن يكون المرء يابانيًا.

Twitter: @ketab_n

ـ بالتأكيد، احكِ لي.

صمت. أخذ شهيقًا. رأيت معالم وجهه تتغير.

ـ في الخامسة، شأن الأطفال الآخرين، خضعت لاختبارات لدخول إحدى أفضل المدارس الابتدائية. ولو كنت قد نجحت، لأمكنني، يومًا ما، دخول إحدى أفضل الجامعات. في الخامسة، كنت أعرف ذلك. لكنني لم أنجح.

رأيته يرتجف.

ـ لم يقل والداي شيئًا. أصيبا بالخذلان. أبي، وهو في الخامسة، نجح. انتظرت حتى حل الليل وبكيت.

انفجر في البكاء. أخذت جسده المنكمش من الألم بين ذراعَي. سمعت عن هذه الاختبارات اليابانية المروعة، المفروضة مبكرًا للغاية على أطفال يعون أهمية الرهان.

ـ في الخامسة، علمت أنني لم أكن بالذكاء الكافي.

ـ هذا خطأ. في الخامسة، علمت أنه لم يتم اختيارك.

ـ شعرت أن أبي كان يفكر: "لا بأس. إنه ابني، وسيحل محلي". وبدأ شعوري بالخزي ولم يتوقف.

احتضنته، وأنا أهمس بكلام مشجع، مؤكدةً على ذكائه. بكى طويلاً ثم نام.

أمضيت الليل أفكر ببلد يعلم أغلبية أطفاله في الخامسة من عمرهم، كل عام، أنهم قد أفسدوا حياتهم. بدا لي أنني أسمع صدى صوت دموع مختنقة.

Twitter: @ketab_n

تخلص رينري من مشكلة كونه ابن أبيه: استبدل الإحساس بالألم بالإحساس بالخزي. لكن الآخرين، الذين يرسبون في الاختبارات، كانوا يعلمون منذ نعومة أظفارهم أنهم سيصبحون، في أفضل الأحوال، عتاد المشاريع، مثلما كان هناك عتاد للمدافع. ويندهش الناس من هذا الكم من المراهقين اليابانيين الذين ينتحرون.

Twitter: @ketab_n

لن تعود كريستين إلا بعد ثلاثة أسابيع. اقترحت على رينري أن نستفيد من شقتها للحد الأقصى. استمر حفل المونوبولي ما إن عاد. ابتهج الشاب باقتراحي.

في الحب مثلما في أي شيء آخر، فإن البنية التحتية أمر أساسي. وأنا أنظر إلى ثكنة إيشيجايا عبر الكوة الزجاجية، سألت رينري إن كان يحب ميشيما.

- إنه رائع، قال.

- أنت تدهشني. فقد أكد لي بعض الأوروبيين أنه كان كاتبًا يُعجب الأجانب بدرجة أكبر.

- لا يحب اليابانيون شخصيته كثيرًا. لكن كتاباته رائعة. أصدقاؤك الأوروبيون قالوا لك شيئًا غريبًا، لأنه جميل بشكل خاص باليابانية. جُمله موسيقية. فكيف نترجم هذا؟

ابتهجت بهذا التصريح. ولأني لن أتمكن من فك شفرات رموز الأفكار الضرورية بسرعة، فقد طلبت من الشاب أن يقرأ لي جهرًا ميشيما بلغته الأصلية. قرأه عن طيب خاطر، فشعرت بهزة عاطفية

Twitter: @ketab_n

وأنا أسمعه يقول لي كينجيكي(*). كنت بعيدة عن فهم كل شيء، بدءًا بالعنوان.

- لماذا "الألوان المحرمة"؟

- باليابانية، يمكن لكلمة "ألوان" أن ترادف كلمة "حب".

كان القانون الياباني يحظر المثلية لأمد طويل. ولطيفٌ جدًا مساواة اللون بالحب، فيما تناول رينري هنا موضوعًا حساسًا. لم أكن أتحدث عن الحب على الإطلاق. وكان يتناول المسألة كثيرًا، فقمت بتغيير الحديث. من النافذة، كنا نراقب، بمناظير، تفتح زهور الكرز اليابانية.

- يتطلب العُرف أن أغني لكِ بعض الأغنيات، ونحن نشرب الساكي تحت الكرز المزهِر، بالليل.

- أتحداك.

تحت شجرة الكرز الأقرب، غنى رينري لي أغنيات عفوية. ضحكت، فاستاء:

- أظن أنني أغني.

شربت الساكي بجرعة واحدة للتخلص من إحراجي. كانت هذه البراعم خطيرة لأنها تستثير عاطفية الشاب.

لدى العودة للشقة التكنولوجية، ظننتني بمأمن. خطأ: كنتُ عرضةً لكلمات حب بارتفاع المبنى. كنت أستمع إليها بشجاعة وصمت. ولحسن الحظ، تقبل الشاب سكوتي.

(*) كينجيكي : Kinjiki كلمة يابانية تعني: ألوان.

Twitter: @ketab_n

كنت أحبه كثيرًا. ولا يمكن للمرء الاعتراف بذلك لحبيبه. خسارة. فبالنسبة لي، كان كثيرًا عليَّ أن أحبه كثيرًا.

وكان يسعدني.

كنت أسعد دائمًا برؤيته. كنت أشعر نحوه بالصداقة والحنان. وحين لا يكون موجودًا، لم أكن أفتقده. كانت تلك هي معادلة إحساسي تجاهه، وكنت أجد هذه القصة رائعة.

لهذا السبب كنت أخشى التصريحات التي تتطلب إجابةً أو - بأسوأ الأحوال - المعاملة بالمثل. فالكذب في هذا المجال هو تعذيب. وكنت أكتشف أن خوفي لم يكن له أساس. فلم يكن رينري ينتظر مني سوى أن أستمع إليه فحسب. كم كان مُحقًا! فالاستماع إلى شخصٍ ما، أمر هائل. وكنت أستمع إليه بحماسة.

ما كنت أشعر به تجاه هذا الشاب لم يكن له مسمّى بالفرنسية الحديثة، لكن ليس باليابانية، حيث كان مصطلح "كوي" متوافقًا مع الأمر. كوي، بالفرنسية الكلاسيكية، يمكن ترجمتها إلى "ميل". وكنت أميل إليه. كان "كوابيتو" الخاص بي، الذي أشترك معه في الـ"كوي": كنت أميل لرفقته.

باليابانية الحديثة، يسمي كل العشاق الشبان غير المتزوجين شريكتهم بـ"كوابيتو". فالحياء العميق يمنع كلمة حب. ففيما عدا في حدثٍ ما أو نوبة هذيان عاطفي، لا تُستخدم هذه الكلمة الهائلة، التي تقتصر على الأعمال الأدبية أو هذا النوع من الأشياء. وكان ينبغي أن أقع على الياباني الوحيد الذي لا يزدري هذه المفردات الخاصة. لكني طمأنت نفسي بالتفكير في أن الغرائبية اللغوية لابد أن تكون قد ساهمت بشكل كبير في هذه الغرابة. ولا تستوي

Twitter: @ketab_n

تصـريحـات رينري الموجهـة لامـرأة فـرنكفـونيـة بالفـرنسيـة، أو باليـابانيـة: كانت اللغة الفـرنسيـة تمثل بلا شك تلك المنطقـة المهيبـة والإباحية في آن واحد، حيث يمكن معايشة أحاسيس شائنة.

الحب قفـزة فـرنسيـة إلى حـد أن الكل يراه اختـراعًا وطنيًا. ودون الذهاب إلى هذا الحـد، كنت أعلم أن في هـذه اللغـة روحًا عـاشـقـةً. وربما يمكننا اعتبار أن كلاً مني ورينري قد أبرمنا عقد ميل نموذجي تجاه لغـة الآخـر: كان يمارس لعبـة الحب، منتشيًا بهـذه الجدة، وأنا كنت مـبتـهـجـة بـ"الـكوي". وهو مـا كـان يثبـت إلى أي حـد كـان كل منا منفتحًا على ثقافة الآخر على نحو رائع.

لم يكن لـ"كـوي" سـوى عـيب واحـد: اسـمـه، الذي كـان يتـرادف بامتياز مع سـمك الشبوط، الحيوان الوحيد الـذي كان يدفعني دائمًا للشعور بالتقزز. ولحسن الحظ، فهذه المصادفة لم يكن يرافقها أي تشـابه: فحتى لو كان سـمك الشبـوط يرمز، في اليـابان، إلى الفتـوة، فإن الإحسـاس الـذي كنت أشعـر به تجاه رينري لا يذكرني في شيء بالسمكة الكبيرة الموحلة ذات الفم المنفر. كان "الكوي"، على العكس، يبهجني بخفـتـه، وسـلاسـتـه، وحيويته وغيـاب جديتـه. كـان "الكوي" أنيقًـا، ومرحًا، ومسليًا، ومتحضرًا. تمثلت إحدى مفاتن "الكوي" في المحاكاة السـاخرة للحب: كان يستعيد بعض السلوكيـات، لا لإدانتها بل كمزحة صريحة.

حـاولت بشـدة مع ذلك إخـفـاء مـرحي حـتـى لا أجـرح رينري؛ فالافتقار إلى الدعابة في الحب واضح. تشككتُ في أنه يعرف أنني كنت أشـعـر إزاءه بـ"الـكوي" وليس "إي" - وهي كلمـة جـميلة لدرجـة أنني كنت آسف أحيـانًا على عدم استـخدامها. وإن لم يحـزنه ذلك،

Twitter: @ketab_n

فذلك بلا شك ينبع من وعي أولي: لابد أنه فهم أنه كان أول "كوي" بالنسبة لي، مثلما كنت أول حب بالنسبة له. ذلك أني إن كنت قد مررت بعدة علاقات عابرة بالفعل، فإنني لم أمِلّ أبدًا لأحد.

ليس ثمة اختلافات كبيرة بين هاتين الكلمتين، "كوي" و"إي"، بل هناك عدم توافق جوهري. فهل نقع في حب من نميل إليهم؟ لا يُعقَل. فنحن نقع في حُبّ مَن لا يمكن تحملهم، مَن يمثلون خطرًا لا حيلة أمامه. يرى شوبنهاور(*) في الحب إحدى حيل غريزة التناسل: لا يمكنني التعبير عن الرعب الذي تبثه فيَّ هذه النظرية. ففي الحب، أرى إحدى حيل غريزتي حتى لا أقتل الآخر: فحين أحس بالحاجة لقتل شخص محدد، تدفعني آلية غامضة ـ عمل لا إرادي مناعي؟ استيهام للبراءة؟ الخوف من السجن؟ ـ لأتبلور حول هذا الشخص. وهكذا على حد علمي، لا تكون لديَّ جريمة قتل نشطة بعد.

قتل رينري؟ يا لها من فكرة بشعة وسخيفة بشكل خاص. قتل إنسان بهذا اللطف ولا يُوقظ فيَّ سوى الأفضل! ومن جهة أخرى، فلِمَ أقتله؟! وهو ما يثبت جيدًا أن ذلك لم يكن ضروريًا.

ليس من المألوف أن أكتب قصةً لا يرغب فيها شخصٌ ما في ذبح أحد. فيجب أن تكون هكذا، قصة عن كوي.

(*) آرثر شوبنهاور: فيلسوف ألماني (١٧٨٨-١٨٦٠).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كان رينري مَن يُعد الوجبات. كان طهوه سيئًا، لكنه أفضل من طهوي، وهي حالة الإنسانية كلها. ولو لم نستفد من جهاز كريستين الكهربائي لكان ذلك مؤسفًا. فقد استُخدم في إعداد أطباق مربية من المعجنات كان يسميها كاربوناراذ، كانت نسخته من هذا الطبق الكلاسيكي تتمثل في خلط مختلف المواد الدهنية المسجلة منذ ١٩٨٩ على هذا الكوكب، وبكميات كبيرة. يطهو اليابانيون طعامًا خفيفًا، هذا معروف جيدًا. وهنا أيضًا، لا أستبعد فرضية أن يكون ذلك ذريعة لتنفيس ثقافي.

وبدلاً من أن أبين له أنه طعام لا يُبتَلع، حدثته عن شغفي بالساشيمي والسوشي. قطب وجهه.

- ألا تحبهما؟ سألته.

- بلى، بلى، قال لي بأدب.

- لابد أن إعدادهما صعب.

- نعم.

- يمكنك أن تشتريهما من متعهد أطعمة.

- هل أنت مُصرة حقًا؟

Twitter: @ketab_n

ـ لماذا تقول إن ذلك يعجبك وهو لا يعجبك؟

ـ إنه يعجبني. لكني حين آكله، أشعر أنني أتناول عشاءً عائليًا وأن جديَّ موجودان.

كانت حجة.

ـ بالإضافة لذلك، حين آكل هذا معهما، فإنهما يقضيان وقتهما في القول إنه مفيد للصحة. وهذا مزعج، أضاف.

ـ أتفهَّم. ويعطيك ذلك الرغبة في أكل أشياء مضرة بالصحة، مثل السباجتي كاربونارا، قلت.

ـ أهي ضارة بالصحة؟

ـ نسختك ضارة بكل تأكيد.

ـ لهذا السبب هي شهية.

وأصبح من الصعب أن أطلب منه طهو شيء آخر.

ـ وإن طهوت طبق الجبن الذائب مرةً أخرى؟ اقترح.

ـ كلا.

ـ ألم يعجبك؟

ـ بلى، لكنها ذكرى بالغة الخصوصية. وإعادة إحيائها لا يمكنه سوى أن يخيب أملنا.

أوف. وجدت عذرًا مهذبًا.

ـ والأوكونومياكي الذي أكلناه معًا بمنزل أصدقائك؟

ـ نعم، هذا سهل.

نجوت. أصبح هذا طبقنا المقدس. امتلأت الثلاجة بشكل دائم بالجمبري، والبيض، والكرنب والزنجبيل. وتربعت زجاجة صلصة

Twitter: @ketab_n

البرقوق على المائدة.

- من أين تشتري هذه الصلصة الممتازة؟ سألت.

- لديّ مخزون منها. جلبها والداي من هيروشيما.

- هذا يعني أنه حين ينتهي المخزون، فيجب العودة إلى هيروشيما.

- لم أذهب أبدًا إلى هناك.

- هذا لحسن الحظ. لم تر شيئًا في هيروشيما، لا شيء.

- لماذا تقولين هذا؟

شرحت له أنني كنت أحاكي - على نحو ساخر - إحدى كلاسيكيات السينما الفرنسية المقتبسة من نص أدبي.

- لم أر هذا الفيلم، قال مغتاظًا.

- يمكنك أن تقرأ الكتاب.

- ما هي حكايته؟

- أفضل ألا أحكيها لك وأتركك تكتشف بنفسك.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

لم نكن نخرج، طوال الوقت الذي كنا نقضيه معًا. كانت عودة كريستين تقترب بسرعة بالغة، وكنا نترقب بذعر ترك هذه الشقة التي لعبت دورًا كبيرًا في علاقتنا.

- يمكننا أن نغلق الباب بحواجز، اقترحت.

- ستفعلين هذا؟ قال بإعجاب مفزوع.

أعجبني أنه ظنني قادرة على القيام بأفعال سيئة كهذه.

أمضينا الكثير من الوقت في الحمام. كان حوض الاستحمام بحجم حوت مجوَّف، يتجه مِنخَراه إلى الداخل.

كان رينري، احترامًا منه للتقاليد، ينظف نفسه كليًا في مغسل الأيدي قبل أن يدخل حوض الاستحمام: لا ندنس ماء حوض الاستحمام المحترم. عجزت عن الخضوع لتقليد أجده بالغ السخافة. مثل وضع أطباق نظيفة في غسالة الأواني!

عرضت عليه وجهة نظري.

- ربما تكونين محقة، قال، لكنني غير قادر على التصرف بطريقة أخرى. يتعدى تدنيس ماء حوض الاستحمام قدراتي.

Twitter: @ketab_n

ـ بينما لا يمثل لك لعن الطعام الياباني أية مشكلة.

ـ هكذا هو الأمر.

كان محقًا. لكل شخص معاقله الرجعية، وهي غير قابلة للتفسير.

كان حوض الاستحمام ـ الحوتي يشعرني أحيانًا بأنه يتحرك، وبأنه يجرف مَن بداخله إلى قاع البحر.

ـ أتعرف قصة يونس؟ سألت.

ـ لا تتحدثي عن الحوت. سنتجادل.

ـ لا تقل لي إنك أحد اليابانيين الذين يأكلونه.

ـ أعلم أن هذا سيئ. ليس خطئي إن كان شهيًا للغاية.

ـ لقد تذوقته، إنه كريه!

ـ أترين؟ فلو كان قد أعجبك، لما وجدت عادتنا صادمة.

ـ لكن الحيتان مهددة بالانقراض!

ـ أعلم. نحن مخطئون. ماذا تريدين؟ حين أفكر في مذاق هذا اللحم، يسيل لعابي. وأعجز عن منع نفسي.

لم يكن يابانيًا نموذجيًا. هكذا، سافر كثيرًا، لكن بمفرده ودون آلة تصوير.

ـ إنها أشياء أخفيها عن الآخرين. فلو علم والداي أنني كنت أسافر بمفردي، كانا سيشعران بالقلق.

ـ أكانا يظنان أنك ستتعرض لخطر؟

Twitter: @ketab_n

ـ كلا. كانا سيقلقان على صحتي العقلية. فهنا، مَن يحب السفر بلا رفقة، يعتبر مضطربًا ذهنيًا. في لغتنا، كلمة "بمفردي" تتضمن فكرة اليأس.

ـ بينما يوجد رهبان مشهورون في بلدك.

ـ هكذا هو الأمر بالضبط. نعتبر أنه يجب أن تكون راهبًا بوذيًا، لتحب العزلة.

ـ لماذا لا يحتشد مواطنوك أبدًا كما يفعلون بالخارج؟

ـ يحبون رؤية أشخاص مختلفين عنهم، وأن يستطيعوا ـ بنفس الوقت ـ الاطمئنان بمرافقة من يشبهونهم.

ـ وهذه الحاجة إلى التصوير؟

ـ لا أعلم. هذا يزعجني، خاصةً أنهم يلتقطون جميعًا صورًا متطابقة. ربما حتى يثبتوا لأنفسهم أنهم لم يكونوا يحلمون.

ـ لم أركَ أبدًا ومعك آلة تصوير!

ليس لديَّ واحدة.

ـ أنت الذي تملك كل الأدوات الحديثة المتاحة، بما فيها موقد لإعداد الجبن السويسري الذائب في مركبة فضائية، ليس لديك آلة تصوير؟!

ـ كلا. لا تهمني.

ـ رينري العجيب.

سألني عن معنى هذا المصطلح. فشرحته له. وجده غريبًا لدرجة أنه، مفتونًا به، أخذ يقول عشرين مرة باليوم: "إميلي العجيبة".

Twitter: @ketab_n

بعد ظهيرة أحد الأيام، أخذت السماء تُمطر فجأةً، ثم تساقط البَرَد. كنت أشاهد المنظر من نافذة المبنى وأنا أعلق:

ـ غريب، في اليابان أيضًا، هناك وابل(*).

سمعت من خلفي صدى صوته يردد:

ـ وابل.

فهمت أنه اكتشف لتوه هذه الكلمة، وأن السياق أوضح له المعنى، وأنه كان ينطقها ليثبتها في ذهنه. ضحكت. بدا أنه فهم سبب مرحي لأنه قال:

ـ عجيبٌ أنا.

(*) وابل: دَفْعَة مطر شديد يصحبها بَرَد.

Twitter: @ketab_n

في بداية أبريل، عادت كريستين من بلجيكا. لطيبتي، أعدت لها شقتها. بدا رينري أكثر تضررًا مني. اتخذت علاقتنا مسارًا متفاوتًا. لم أكن مستاءة مطلقًا من ذلك. كنت أفتقد المونوبولي إلى حدٍّ ما.

عدت إلى القصر الأسمنتي. لم يعد والدا الشاب يسمونني سنسي، وهو ما أثبت رجاحة فكرهما. وكان الجدان يسميانني سنسي أكثر من أي وقت مضى، مما يؤكد شرهما.

وأنا أحتسي الشاي مع هذا العالم الصغير، أراني الأب حلية كان قد انتهى من صنعها للتو. كانت قلادة غريبة، وسطًا بين مُتحرِّك كالدر(*) وعِقد العقيق.

- هل أعجبك؟ سأل.

- يعجبني جمع الأسود مع الفضي. إنه أنيق.

- إنه لك.

(*) شكل فني أبدعه النحات الأمريكي ألكسندر كالدر، يتسم بالخفة والحركة لدى أية نسمة.

Twitter: @ketab_n

علقها رينري حول عنقي. ارتبكت. حين وجدت نفسي بمفردي معه، قلت:

ـ أهداني والدك هدية رائعة. كيف أرد له الهدية؟

ـ إن أعطيتِه شيئًا، سيهديك المزيد.

ـ ماذا يجب أن أفعل؟

ـ لا شيء.

كان محقًا. لتجنب تصعيد الكرم، لا يوجد حل آخر سوى قبول عروض باذخة بشجاعة.

في غضون ذلك، عدتُ إلى شقتي. كان رينري أرهف من أن يطلب مني أن أستقبله في شقتي، لكنه كان يعرض عليَّ المساعدة التي كنت أتفاداها بعناية.

كان يتصل بي كثيرًا. كان يعبر عن نفسه بطريقة مضحكة بلا قصد، كانت تعجبني وخاصةً أنه كان جادًا:

ـ صباح الخير يا إميلي. أريد معرفة حالة صحتك.

ـ ممتازة.

ـ في هذه الحالة، أتودين أن تلتقي بي؟

انفجرت ضاحكة. لم يفهم سبب ضحكي.

كان لرينري أخت صغيرة تبلغ ١٨ عامًا وتدرس في لوس أنجلوس. يومًا ما، أبلغني أنها ستأتي إلى طوكيو لقضاء إجازة قصيرة.

Twitter: @ketab_n

ـ سأمر لأصطحبك هذا المساء لأقدمك إليها.

في صوته، كانت ترتعش جدية منفعلة. استعددت لاختبار شيء مهم.

حين جلست في المرسيدس، أدرت رأسي لأحيي الشابة الجالسة في المقعد الخلفي الطويل. أدهشني جمالها.

ـ إميلي، ها هي رُيكا. ريكا، ها هي إميلي.

ـ حيتني بابتسامة رائعة. اسمها خيب أملي، لكن ليس باقي شخصيتها. كانت ملاكًا.

ـ حدثني رينري عنك كثيرًا، قالت.

ـ وحدثني عنك كثيرًا، اخترعت الأمر.

ـ أنتما كاذبتان. فأنا لا أتحدث كثيرًا أبدًا.

ـ هذا صحيح، لا يقول شيئًا أبدًا، عاودت ريكا الحديث. تحدث عنك قليلاً جدًا. لهذا السبب أنا مقتنعة أنه يحبك.

ـ في هذه الحالة، إنه يحبك أيضًا.

ـ ألا يزعجك إن تحدثت معك بالأمريكية؟ أخطئ كثيرًا باليابانية.

ـ لن ألاحظ هذه الأخطاء.

ـ لا يتوقف رينري عن التصحيح لي. يريدني كاملة.

كانت تتجاوز الكمال. اصطحبنا الشاب إلى منتزه شيروجان. بحلول الظلام، كانت الأماكن مهجورة لدرجة أننا قد يتبادر لذهننا أننا بعيدون عن طوكيو، في غابة خرافية ما.

هبطت ريكا بحقيبة من السيارة وفتحتها. أخرجت منها غطاء مائدة من الحرير وضعته على الأرض، مع ساكي، وأكواب وجاتوه. جلست على القماش ودعتنا أن نفعل مثلها. أبهرتني لباقتها.

Twitter: @ketab_n

فيما كنا نشرب نخب هذا اللقاء، سألتها ما هي رموز فكرة اسمها. أرتني إياها.

- بلد العطور! صرختُ. إنه مذهل ويليق بك بشدة.

لم يعد الاسم يبدو لي قبيحًا بعد معرفة معناه الياباني.

جعلتها الحياة الكاليفورنية أقل تحفظًا من أخيها بكثير. كانت تثرثر بطريقة ساحرة. استمعت لحديثها باهتمام كبير. بدا رينري منومًا مغناطيسيًا مثلي. كنا نراقبها باهتمام شأن ظاهرة طبيعية ساحرة.

- حسنًا، قالت فجأة. إذن، أهذه الألعاب النارية؟

- سأذهب، قال الشاب.

تفاجأت بشدة. أخذ رينري حقيبة من صندوق السيارة اتضح أنه حقيبة ألعاب نارية، تمامًا كما كانت هناك حقيبة الجبن الذائب السويسري. وضع على الأرض لوازم الألعاب النارية وحذرنا من أن الألعاب ستبدأ. سرعان ما غمرتنا السماء بانفجارات من الألوان والنجوم بينما كانت تدوي نشوة الفتاة.

أمام عينَيَّ المبهورتين، أعطى الأخ لأخته لا برهانًا، بل استعراض حب. لم أشعر أبدًا أنني قريبة منه هكذا.

حين توقف الفجر الشمالي عن الفرقعة فوق رؤوسنا، صاحت ريكا، بأسف:

- هل انتهى بالفعل؟

- لا تزال هناك العصي الصغيرة، قال الشاب.

أخذ من الحقيبة حزمة أغصان صغيرة، ووزع على كل منا حفنة

Twitter: @ketab_n

منها. لم يشعل سوى واحدة نشرت النار في كل الأطراف. انبعثت من كل عصًا حزمة من الشرارات الدوارة.

كان الليل يكسو خيزران حديقة شيروجان باللون الفضي. كانت يراعات نهاية عالمنا ترمي بذهبها على هذا الصمت الأبيض. ابتهج الأخ والأخت بعصي النجوم. أدركت أني كنت مع طفلين متيمين ببعضهما البعض، وهذه الرؤية شوشتني.

فأن يرضيا بي بينهما، يا لها من هدية! أفضل من التعبير عن الحب، كان تعبيرًا عن الثقة.

انتهى غزل بنات الضوء بالانطفاء، لكن السحر لم يتوقف. تنهدت الفتاة الصعداء من السعادة:

- كان جيدًا!

كنت أشترك مع رينري في حب هذه الفتاة الصغيرة السعيدة. كان هناك شيءٌ ما يتعلق بأعمال نرفال(*) في هذا الجو الاحتفالي المنتهي مع شابة جميلة أسطورية. نرفال في اليابان، مَن كان يتصور هذا؟!

في مساء اليوم التالي، اصطحبني رينري لتناول مكرونة شريطية صينية في مطعم بائس.

- أحب ريكا، قلت له.

- أنا أيضًا، أجاب بابتسامة متأثرة.

(*) هو الشاعر الفرنسي جيرار دي نرفال (١٨٠٨- ١٨٥٥)، من رواد المدرسة الرومانتيكية. تبنى رؤية مثالية للمرأة، في شكل "الأم الضائعة" أو "المرأة المثالية"، التي تمتزج فيها- في آن- سمات مريم العذراء وإيزيس وملكة سبأ.

Twitter: @ketab_n

- تعلم، لدينا نقطة مشتركة غريبة، أنا وأنت. فأنا أيضًا أحب أختي التي تعيش بعيدًا. اسمها جولييت وكان فراقها فوق طاقة البشر.

أريته صورة أختي الكبيرة المقدسة.

- إنها جميلة، علّق وهو ينظر إلى الصورة باهتمام.

- نعم، وهي أكثر من جميلة. أفتقدها.

- أفهم. حين تكون ريكا في كاليفورنيا، أفتقدها بشدة.

أمام الطبق، أصبحت حزينة. قلت له إنه الوحيد الذي يمكنه أن يفهم كم كنت أشعر وكأنني مبتورة بسبب غياب جولييت. حكيتُ له عن قوة الصلة التي ربطتني دائمًا بها، كم كنت أحبها والعنف العبثي الذي فرضته على نفسي بانفصالي عنها.

- كان يجب أن أعود إلى اليابان، لكن أكان يجب أن أعيش هذا الانتزاع الموجع؟

- لماذا لم تأت معك؟

- تريد أن تقيم في بلجيكا حيث يوجد عملها. لا تشاركني في شغفي تجاه بلدك.

- مثل ريكا. لم تجعلها اليابان تحلم.

كيف يمكن لكائنتين عذبتين إلى هذا الحد مثل شقيقتينا ألا ينبهرا بهذا البلد؟ سألت رينري عما تدرسه الشابة في كاليفورنيا. أجاب أن برنامجها مبهم جدًا، وأنها في واقع الأمر كانت عشيقة شخص ما اسمه تشانج، رجل صيني زعيم عصابة بلوس أنجلوس.

- لا تتصورين مدى ثرائه، قال بيأس خادع.

Twitter: @ketab_n

مندهشةً بشدة، تساءلت كيف يمكن لملاك سقط من السماء أن يختار العيش مع زعيم عصابة. "لا تكوني غبية، قلت لنفسي، هكذا تسير الحياة دائمًا". في خيالي رأيت ريكا فجأةً ترتدي شالاً من الريش حول عنقها وحذاءً بكعب عال، تسير متأبطة ذراع رجل صيني ببذلة بيضاء. انفجرت ضاحكة.

ابتسم رينري لي ابتسامة متواطئة. تبدت أختانا لنا على التوالي في حساء مكرونتنا الشريطية. كان لارتباطنا معنى.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كان تقدمي في اليابانية يدهشني، بدرجة أقل مع ذلك من تقدم رينري في الفرنسية، الذي كان لامعًا.

كنا نتبارى في إظهار مهارتنا بهذا الأمر. حين تنهمر الأمطار بغزارة، كان رينري يقول:

ـ تمطر السماء بغزارة.

بصوته المتميز دائمًا، الذي لم يخل من الهزل.

حين كان يقول بعض الألفاظ الفاحشة، اعتدت أن أصيح:

ـ ناني أو شايماسو كا؟

التي تترجم: "ما الذي جرؤت على النطق به بكل هذا الاحترام"، أو بالأحرى لا تترجَم، لأن لا أحد آخر سوى ياباني ما كان ليستخدم صيغة أرستقراطية إلى هذا الحد، لإشارة من هذا القبيل. حتى اليابانيون أنفسهم لم يعودوا يستخدمونها.

كان ينهار من الضحك. دعاني والداه ذات مساء لتناول العشاء في قصرهما الأسمنتي، كنت أريد إبهارهما. ما إن قال رينري شيئًا مدهشًا، حتى صحت بطريقة مسموعة:

Twitter: @ketab_n

- ناني أو شايماسو كا؟

بعد أن انقضى ذهولهم، ضحك الأب بصوت عال. وبَّخني الجدان، ساخطين، زاعمين أن ليس لي الحق في قول ذلك. انتظرت الأم حتى عاد الصمت لتقول مبتسمة:

- لماذا تكابدين إلى هذا الحد كي تكوني متميزة، بينما لن تصيري أبدًا سيدة، بوجه معبر بشدة كوجهك؟

تأكدت مما كان أدبها يجعلني أستشفه من قبل: كانت هذه المرأة تكرهني. لم أكن فقط أسرق ابنها منها، لكني- بالإضافة لذلك - كنت أجنبية. وفضلاً عن هاتين الجريمتين، بدا لي أنها تستشعر شيئاً آخر بي كان لا يعجبها أكثر.

- لو كانت ريكا هنا، لبكَتْ من شدة الضحك، قال رينري الذي لم يلحظ شر والدته.

في الماضي، تعلمت الإنجليزية، والهولندية، والألمانية والإيطالية. كنت أتمتع بالمثابرة مع هذه اللغات الحية: كنت أفهمها أفضل من التحدث بها. كانت ذات تسلسل منطقي: نلاحظ السلوك قبل تبنيه. يعمل الحدس اللغوي حتى إن لم تصل للمهارة بعد.

باليابانية، كان العكس: كانت معرفتي الفعالة تتخطى بكثير معرفتي السلبية. لم تختفِ هذه الظاهرة التي لا أفسرها لنفسي أبدًا. كنت أتمكن كثيرًا من التعبير بهذه اللغة عن أفكار معقدة جدًا، فيعتقد مَن يتحدث معي أنني ضليعة بعلم اللغة اليابانية، فكان يجيب بحديث مماثل. لا يبقى لي حينها سوى الهروب للاختباء لعدم فهمي أية كلمة من الرد السريع. حين يستحيل الانسحاب، لا

Twitter: @ketab_n

يمكنني سوى تخيل ما أدت إليه المواجهة من عكس الحجة عليَّ، واستمرار هذه المناجاة المتكررة في شكل حوار بهذه الطريقة.

عرضت هذه الظاهرة على لغويين أكدوا لي أن هذا طبيعي: "لا يمكن أن يكون لديكِ حدس لغوي في لغة بعيدة هكذا عن لغتك". غير أنهم نسوا أنني تحدثت اليابانية حتى الخامسة من عمري. فضلاً عن ذلك، فقد عشت في الصين، وبنجلاديش، إلخ وهنا، كما في أماكن أخرى. وتغلبت معرفتي السلبية للغة الممارَسة على معرفتي النشطة. هناك إذن، بحالتي، استثناء ياباني حقيقي أحاول تفسيره بأنه القدر: كان بلدًا لا مجال فيه للسلبية بالنسبة لي.

ما ينبغي أن يحدث سيحدث: في يونيو، أعلن رينري لي بوجه حزين جدًا أن صلصة البرقوق المر نفدت.

- بالطريقة التي كنا نستهلكها، لم يكن ممكنًا أن يحدث غير ذلك.

كان تقدمه بالفرنسية يبهرني. أجبت:

- خيرًا حدث! كنت أحلم بالسفر إلى هيروشيما معك.

تحول وجهه من وقور إلى رهيب. كنت أبحث عن تفسير تاريخي وفاوضت:

- أُعجب كل العالم بالشجاعة التي تحملَتْ بها هيروشيما وناجازاكي...

- لا يتعلق الأمر بهذا، قاطعني. قرأت هذا الكتاب الصغير الذي كتبته فرنسية، الذي حدثتني عنه...

- هيروشيما، حبي.

Twitter: @ketab_n

- نعم. لم أفهم منه شيئًا.

انفجرت ضاحكة.

- لا تقلق، عاش الكثير من الفرنكفونيين هذه الظاهرة. هذا سبب أدعى للذهاب لهيروشيما، اخترعت.

- تريدين أن تقولي إننا إن قرأنا هذا الكتاب في هيروشيما، سنفهم؟

- بالتأكيد، أعلنت.

- هذا غباء. لست محتاجًا إلى الذهاب لڤينيسيا لفهم "موت في ڤينيسيا"، ولا لبارما لقراءة "دير بارما".

- مارجريت دورا كاتبة خاصة جدًا، قلت، مقتنعةً بصحة كلامي.

يوم السبت التالي، حددنا موعدًا في السابعة صباحًا في مطار هانيدا. كنت أفضِّل القطار، لكن القطار - بالنسبة لليابانيين - بهذه المرحلة تجربة يومية كان رينري يحتاج إلى تغييرها.

- ثم، الطيران إلى هيروشيما، لابد أنه سيشعرنا بأننا على متن الطائرة الإينولا جاي(*) قال.

كان هذا في بداية شهر يونيو. في طوكيو، كان الطقس مثاليًا، جميلاً، ٢٥ درجة مئوية. في هيروشيما، كانت درجة الحرارة أعلى بخمس درجات، ورطوبة موسم الأمطار راكدة بالفعل في الهواء. لكن الشمس كانت غائبة.

(*) إينولا جاي هي الطائرة الأمريكية التي أسقطت القنبلة النووية على هيروشيما في ٦ أغسطس ١٩٤٥ .

Twitter: @ketab_n

منذ الوصول إلى مطار هيروشيما، شعرت بانطباع محدد جدًا: لم نكن في ١٩٨٩ . لم أعد أعلم في أي عام كنا، بالتأكيد، ليس في ١٩٥٤ لكن هذا كان يشابه الخمسينيات أو الستينيات. هل أبطأت الصدمة النووية مجرى الوقت؟ كانت هناك أبنية حديثة، والناس يرتدون ملابس عادية، ولم تختلف السيارات عن سيارات كل اليابان. كأن هنا، يعيش الناس أكثر قوة من قبل. السكن في مدينة حيث يعني الاسم، لكل الكوكب، أن الموت أثار فيهم العصب الحي؛ يعطي انطباعًا بالتفاؤل الذي خلق من جديد محيطًا لعصر لا يزال يُعتقد فيه بالمستقبل.

لمست هذه الملاحظة قلبي. أثارت هذه المدينة ذات الجو المؤثر من السعادة الشُّجاعة مشاعري على الفور.

أذهلني متحف القنبلة النووية. حاولت بلا جدوى اكتشافه، تتخطى تفاصيل الأمر الخيال. تُعرض الأشياء في المتحف بفعالية تقترب من الشعر: تتحدث عن هذا القطار الذي كان يسير، في ٦ أغسطس ١٩٤٥بمحاذاة الساحل باتجاه هيروشيما، يقوده، من بين آخرين، عمال الفترة الصباحية. كان المسافرون ينظرون بتراخ إلى المدينة عبر نوافذ عربات القطار. ثم دخل القطار في نفق، وحين خرج منه، رأى العمال أنه لم تعد هناك هيروشيما.

وأنا أتنزه في شوارع هذه المدينة الإقليمية، كنت أفكر أن الكرامة اليابانية تجد هنا النموذج الأكثر لفتًا للنظر. لا شيء، لا شيء على الإطلاق، يوحي أنها مدينة شهيدة. بدا لي أن أي بلد آخر كان يمكن أن يستغل وحشية بهذا الحجم حتى آخر رمق. عاصمة التحول إلى ضحية، كنز وطني لكثير من الشعوب، لم تكن موجودة في هيروشيما.

Twitter: @ketab_n

في حديقة السلام، كان العشاق يقبلون بعضهم البعض على المقاعد العامة. تذكرت فجأة أنني لست مسافرة بمفردي وخضعت للتقليد المحلي. حين حدث هذا، أخرج رينري من جيبه كتاب مارجريت دورا. كنت قد نسيته. أما هو فكان لا يفكر إلا فيه. قرأه لي بصوت عال، من البداية إلى النهاية، هيروشيما، حبي.

كنت أشعر أنه كان يتلو عريضة اتهامي، وأنني يجب أن أعلم ما سألام عليه. نظرًا لطول النص، والأثر المتباطئ للهجة اليابانية، كان لديَّ الوقت لتحضير دفاعي. كان الأمر الأصعب أن أمتنع عن الضحك وهو يقرأ، وهو منزعج من عدم الفهم: "أنت تقتلني، أنت تريحني"؛ لم يقلها مثل إيمانيول ريفا.

بعد ساعتين، حين انتهى، أغلق الكتاب ونظر إليَّ.

- إنه رائع، أليس كذلك؟ جرؤت على الهمس.

- لا أعلم، أجاب، بعناد.

لم أكن سأنسحب من الموقف بهذه البساطة.

وضع الشابة الفرنسية التي حُلقت رأسها خلال التحرير وسكان هيروشيما على قدم المساواة، احتاج هذا لجرأة دورا.

- حقًا؟ هل هذا ما تعنينه؟ سأل رينري.

- نعم. يمجد هذا الكتاب الحب ضحية البربرية.

- لماذا تعبر الكاتبة عن ذلك بطريقة بهذه الغرابة؟

- إنها مارجريت دورا. سحرها، أن نشعر بالأشياء دون فهمها بالضرورة.

- أنا، لم أشعر بأي شيء.

- بلى، أنت غاضب.

Twitter: @ketab_n

- هل هو رد الفعل المطلوب؟

- تحب دورا هذا أيضًا. إنه سلوك جيد. حين ننتهي من قراءة كتاب لدورا، نشعر بالإحباط. إنه مثل تحقيق في نهايته لم يسفر عن الكثير. نلمح أشياءً عبر زجاج مخشن. ونقوم من على المائدة ولا نزال نشعر بالجوع.

- أنا جائع.

- وأنا أيضًا.

الأوكونومياكي هو تخصص هيروشيما. كانوا يعدونه في حجرات ضخمة في الهواء الطلق، على صفائح معدنية ضخمة ينفذ الدخان منها خلال الليل. رغم برودة المساء النسبية، كان الطاهي المحترف يعرق بشدة في فطيرة الكرنب التي تُطهى أمام أعيننا. ساهمت قطرات العرق في إعداد تحفة. لم نأكل أبدًا أوكونومياكي لذيذًا إلى هذا الحد. استفاد رينري من الأمر بشراء عدد استثنائي من كراتين صلصة البرقوق المر من الطاهي.

ثم كانت غرفة الفندق بالنسبة لي ذريعة لأردد جملاً مقتطفة من كتاب دورا. بدا أن رينري يقدرها أكثر. ما كان لأحد أن يقول كم أخلصت للأدب الفرنسي.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

بداية يوليو، انضمت أختي لي لقضاء إجازة لمدة شهر. ظننتني سأموت فرحًا وأنا ألتقي بها. خلال ساعة، لم يكن عناقنا سوى قرقرة حيوانات.

في المساء، انتظر رينري أمام منزلي في المرسيدس البيضاء. قدمت إليه من كانت أهم شخص بالعالم بالنسبة لي. ذهل كل منهما تمامًا. كان يجب أن أكون موضوع الحديث.

حين وجدت نفسي بمفردي مع جولييت، سألتها عن رأيها في رينري.

- إنه نحيل، قالت.
- وماذا أيضًا ؟

لم أحصل على شيء آخر ذي بال. اتصلت بالشاب:

- إذن، ما رأيك بها ؟
- إنها نحيلة، قال.

لم أحصل على شيء آخر ذي بال. بعد فرضية العملية المدبرة، غضب ضميري: يا له من حكم سيئ! نعم، بالتأكيد كانا نحيلين،

Twitter: @ketab_n

وماذا في ذلك؟ ألا يجدان شيئًا آخر أكثر تشويقًا ليقولاه لي؟ أنا، أكثر ما كان يذهلني لم يكن نحولهما: كان جمال وسحر أختي، وكانت رقة وغرابة رينري.

لا أحمل أية ضغينة مع ذلك في ملاحظتهما المتبادلة: تبادلا التقدير على الفور. على أية حال، كانا محقين. إن استعرضت ماضيَّ، ألاحظ أن جميع من لعبوا في حياتي دورًا مهمًا كانوا يتّسمون بالنحافة. إن لم تكن بالتأكيد ميزتهم الرئيسية، فقد كانت النقطة المشتركة التي تربطهم.

بالتأكيد، التقيت في طريقي بشخصيات نحيلة عديدة لم تغير مجرى قدري. بالإضافة لذلك عشت في بنجلادش حيث أغلبية السكان هياكل عظمية: وجود لا يمكن رصده بقدر الآخرين، حتى المتّسمين بالنحافة. لكن على فراش موتي، فالخيالات التي ستَتَوالى في ذاكرتي ستصبح كلها نحيلة.

كنت أجهل دلالة هذا الأمر، أشك أنه كان اختيارًا لي، سواء بشكل واع أم لا. في رواياتي، كانت الناس المحبوبة تتسم بالنحول الشديد. لهذا، لا يجب أن نستنتج أن هذا ما يرضيني. منذ عامين، قدمَتْ شابة بلهاء، سأخفي هويتها، نفسها لي، تحت مسمى أفضّل أن أتجاهله. ولأنها رأت دهشتي، استدارت البلهاء الصغيرة أمامي للتأكيد على قيمة نحافتها الشديدة وأقسم أنها أعلنت:

- ألا تجدين أنني أشبه واحدة من بطلاتك؟

صيف ١٩٨٩ إذن. صرفت حبيبي النحيل لمدة شهر: سنسافر أنا وجولييت للحج.

Twitter: @ketab_n

سيوصلنا قطار لكانساي. كانت المقاطعة دائمًا جميلة جدًا. ومع ذلك، لا أتمنى لأحد رحلة كهذه. إنها معجزة أنني نجوت من هذا الحزن العميق. دون وجود أختي، لما كان للشجاعة أن تواتيني أبدًا للعودة إلى أماكن طفولتنا. دون وجود أختي، لكنت قد مت من الحزن في بلدة شوكوجاوا.

٥ أغسطس، عادت جولييت إلى بلجيكا. أغلقت على نفسي عدة ساعات للصراخ مثل الحيوانات. حين خوى صدري من الصرخات التي كان يحتويها، اتصلت برينري. كان أطيب من أن يبدي سعادته، لأنه كان يعلم معاناتي. أتت المرسيدس البيضاء لاصطحابي.

اصطحبني إلى حديقة شيروغان.

– آخر مرة أتينا إلى هنا، كانت مع ريكا، قلت. هل انتهزت فرصة ابتعادنا لتذهب لرؤيتها؟

– كلا. ليست نفس الشخص، هناك. إنها تلعب دورًا.

– ماذا فعلت إذن؟

– قرأت كتابًا بالفرنسية عن فرسان الهيكل(*)، قال بإثارة.

– هذا جيد.

– نعم. وقررت أن أصبح واحدًا منهم.

– لا أفهم.

– أريد أن أصبح فارس هيكل.

قضيت باقي النزهة أشرح لرينري أن طموحه ليس ملائمًا.

(*) هو من أشهر الجيوش المسيحية، كانوا في الشرق الأوسط لحوالي قرنين بدءوا بعد الحملة الفرنسية الأولى لضمان سلامة الحجاج الأوروبيين الذين كانوا يسافرون للقدس بعد انتصار الصليبيين.

Twitter: @ketab_n

فتحت حكم فيليب لو بيل، في أوروبا، كان لهذا أن يصبح ذا معنى. أما في طوكيو، عام ١٩٨٩ ومن جانب المدير المستقبلي لمدرسة مجوهرات مشهورة، فإن ذلك سخيف.

- أريد أن أكون فارس هيكل، أصرَّ وهو حزين. أنا متأكد أنه يوجد بالفعل فرسان هيكل، في اليابان.

- أنا أيضًا متأكدة من هذا، لسبب بسيط يكمن في أن بلدك يحتوي على كل شيء. مواطنوك فضوليون جدًا لدرجة أنك، أيًا ما كان الشغف، ستجد من تشاركه فيه.

- لماذا لا أصبح فارس هيكل ؟

- تبدو كطائفة، اليوم.

تنهد، مهزومًا.

- وإن ذهبنا لتناول مكرونة شريطية صينية؟ انتهى إلى اقتراح طموحي في فارس هيكلي.

- فكرة ممتازة.

خلال تناول الطعام، حاولت أن أحكي له عن الملوك الملعونين(*). كان الأمر الأكثر صعوبة في الشرح هو انتخاب البابا.

- هذا لم يتغير في شيء. يجتمعون دائمًا باجتماع الكرادلة، اجتماع مغلق للكرادلة دائمًا معًا...

(*) سلسلة من سبع روايات تاريخية كتبها موريس دريون، عضو الأكاديمية الفرنسية.

Twitter: @ketab_n

منجرفةً بموضوعي، لم أبخل عليه بأية تفصيلة. كان يسمعني وهو يشم مكرونته. بنهاية شرحي، سألت:

- في الواقع، ما رأي اليابانيين في البابا ؟

في العادة، حين كنت أطرح سؤالاً على رينري، كان يفكر قبل أن يجيب. هنا، لم يفكر لحظة وقال:

- لا شيء.

عبر عن هذا بصوت محايد جدًا لدرجة أنني انفجرت ضاحكة. لم تكن هناك أية إهانة في نبرة صوته الحاسمة، لا شيء سوى إثبات حالة بوضوح.

منذ ذلك الحين، كل مرة أرى فيها البابا بالتليفزيون، أفكر: "وها هو الشخص الذي لا يفكر به ١٢٥ مليون ياباني أبدًا"، جملة تجعلني دائمًا أريد أن أمزح.

ومع ذلك، وإذا ما وضعنا في الاعتبار الفضول الياباني تجاه الخصوصيات الأجنبية، فمن المؤكد تقريبًا أن جملة رينري تقبل باستثناءات عديدة. لكنني أعتقد أنني كنت محقة بإثناء كائن يهتم قليلاً جدًا بعدوه الأكبر عن الانضمام إلى فرسان الهيكل.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

غدًا، سأصحبك إلى الجبل، أعلن رينري لي بالهاتف. ارتدي حذاء السير.

ـ قد لا تكون فكرة جيدة، قلت.

ـ لماذا؟ ألا تحبين الجبل؟

ـ أنا أعشق الجبل.

ـ هيا، حُسم الأمر، قال بحسم، غير مبال برأيي المخالف.

ما كاد يغلق الخط حتى شعرت أن درجة حرارتي ترتفع: فجبال العالم كله، وجبال اليابان لسبب أقوى، تمارس عليَّ إغراءً مخيفًا. كنت أعلم مع ذلك أن المغامرة لن تكون بلا مخاطرة: على ارتفاع ١٥٠٠ متر، أصبح شخصًا آخر.

١١ أغسطس، فتحت المرسيدس البيضاء بابها لي.

ـ أين سنذهب؟

ـ سترَيْن.

Twitter: @ketab_n

أنا التي لم أكن موهوبة أبدًا في فهم رموز الأفكار، كنت أستطيع دائمًا قراءة أسماء الأماكن. أصبحت هذه النعمة مفيدة جدًا في رحلاتي اليابانية. هكذا، بعد طريق طويل جدًا، تأكدت شكوكي:

ـ جبل فوجي(*)!

كان حلمي. تقتضي التقاليد أن يتسلق كل ياباني جبل فوجي على الأقل مرة في حياته، وإلا فلا يستحق هذه الجنسية المرموقة. وأنا التي كنت أرغب بلهفة في أن أصبح يابانية، كنت أرى في هذا التسلق حيلة هوية عبقرية. شأن الجبل، كانت منطقتي، كانت أرضي.

صُفَّت السيارة في مرآب عملاق مُقام على سهل من الحمم، لم يكن مسموحًا لأية سيارة أن تتحرك خلفه. أبهرني تدفق شاحنات الركاب التي كانت تشهد احتياج الناس لبلوغ اللقب الياباني الحقيقي. لم يكن هذا يتطلب إجراءً شكليًا: المطلوب هو الصعود إلى ارتفاع ٣٧٧٦ مترًا فوق مستوى البحر في أقل من نهار، بما أن القمة والقاعدة فحسب تحتملان استضافة النائمين. الآن، كان هناك في الحشد المكتظ بنقطة بداية الصعود عجائز، وأطفال، وأمهات يحملن رضعًا ـ كما لمحت حتى امرأة حاملاً بدت في الشهر الثامن. وهو ما يُظهر جيدًا أن الجنسية اليابانية ذات مفهوم بطولي دائمًا.

كنت أنظر في الأجواء: كان هذا إذن، جبل فوجي. أخيرًا وجدت مكانًا لا يبدو منه رائعًا، لأننا لم نكن نراه: قاعدته. عدا ذلك، فهذا

(*) أعلى جبل باليابان بارتفاع ٣٧٧٦ مترًا. وهو بركان خامد.

Twitter: @ketab_n

البركان اختراع سام، نكاد نراه تقريبًا من كل مكان، إلى حد أنني اعتقدت أحيانًا أنه تصوير فوتوغرافي مجسم. لم يعد عدد الأماكن على جزيرة هونشو(*) يُحصى حيث لدينا منظر فاتن على جبل فوجي: كنا نحصي بطريقة أسهل الأماكن التي لا نراها من عليه. ولو كان للقوميين أن يصنعوا رمزًا اتحاديًا، لكانوا بنوا جبل فوجي. مستحيل التفكير به دون الشعور بالوخز الخرافي المقدس: إنه جميل للغاية، كامل للغاية، مثالي للغاية. إلا في السفح حيث كان يبدو كأي جبل، كنوع من الانتفاخ عديم الشكل.

كان مع رينري معداته: حذاء متسلقي الجبال، طاقم لاستكشاف النجوم، معول جليد. نظر بشفقة إلى حذائي الرياضي وسروالي الجينز وامتنع عن التعليق، ربما حتى لا يجرح إحساسي.

ـ هل نذهب؟ قال.

لم أكن أنتظر سوى هذه الكلمة، وأطلقت ساقيَّ اللتين أسرعتا بنفس اللحظة. كانت الظهيرة تخترق رأسي. كنت أتسلق، سعيدة أن أمامي هذا الكم لأتسلقه. كانت أول ١٥٠٠ متر هي الأصعب: كانت الأرض عبارة عن حمم ناعمة تنغرز القدم فيها. وكما يقال، فيجب أن تريد الشيء. وكنا نريده جميعًا. مشهد العجزة الصغار المتسلقين في طابور يدفع إلى الاحترام.

من ١٥٠٠ متر، أصبح تسلق الجبل شاقًا، بأحجار وأرض صلبة بشدة، تتقاطع بمناطق حصى أسود. وصلت إلى الارتفاع الذي

(*) هونشو: أكبر جزيرة باليابان، توجد بها طوكيو وأوساكا وكيوتو وهيروشيما ويوكوهاما ونارا وناجويا.

Twitter: @ketab_n

تبدلت فيه. انتظرت رينري الذي لم يبعد عني سوي ٢٠٠ متر وأعطيته موعدًا على القمة.

فيما بعد، قال لي:

ـ لا أعلم ماذا حدث إذن. لقد اختفيتِ.

كان محقًا، بعد الـ١٥٠٠ متر، اختفيت. تحول جسدي إلى طاقة خالصة. وفي الوقت الذي يتساءل فيه المرء عن مكاني، جرفتني ساقاي إلى مكان بعيد لدرجة أنني أصبحت خفية. لدى آخرين هذه المزية، لكنني لا أعلم أن هناك من يمتلك مثلي هذه المزية المؤكدة، لأنني، من قريب أو بعيد، لا أشبه زرادشت(*).

الآن، هذا ما أصبحت عليه. تملكتني قوة خارقة وصعدت بخط مستقيم نحو الشمس. رنَّت برأسي تراتيل ليست أوليمبية لكنها تراتيل لجبل أوليمبوس. هرقل قريبي الصغير منحرف المزاج. وهنا أيضًا، أتحدث عن الفرع اليوناني من العائلة. فنحن، الزرادشتيين، نختلف عن الآخرين.

أن تكون زرادشتيًا يعني أن يكون مكان قدميك آلهة تأكل الجبل وتحوله إلى سماء، أن يكون مكان الركب قاذفات صواريخ حيث باقي الجسد هو المقذوفات، أن يكون مكان البطن طبول حرب وبمكان القلب إيقاع النصر، أن تسكن رأسك سعادة مخيفة لحد احتياجها لقوة خارقة لتحمّلها، أن تملك كل سلطات العالم التي استدعيتها إلى هذا الدافع الوحيد الذي يمكن احتواؤه في دمائك، ألا تلمس الأرض بسبب التحاور المقترب مع الشمس.

(*) الأب المؤسس للديانة الزرادشتية: ديانة إيرانية قديمة وتعتبر من أقدم الديانات الموحدة في العالم.

Twitter: @ketab_n

أراد القدر، المشهور بمرحه، أن أولد بلجيكية. وكوني من بلد مسطح أنتمي فيّه للسلالة الزرادشتية، سخرية تحكم عليك أن تكون عميلاً مزدوجًا.

تجاوزت الحشود اليابانية. كان بعضهم يرفع أنفه من الأرض لمشاهدة الشهاب المتفجر. كان العجزة يقولون: "واكايمونو" ("شيء شاب") كأنهم يشرحون. أما الشباب، فلم يجدوا ما يقولونه.

حين تجاوزت كل السائرين، أدركت أنني لم أكن وحيدة. كان هناك زرادشتي آخر بين متسلقي النهار وأراد بلا شك التعرف عليَّ: جندي أمريكي متمركز في أوكيناوا أتى للمشاهدة.

- انتهيت إلى الاعتقاد بأنني كنت طبيعيًا، قال لي، لكنك فتاة وتتسلقين مثلي.

لم أشأ أن أشرح له أن الزرادشتيين كانوا موجودين، منذ الأزل. لم يكن يستحق الانتماء للسلالة: كان ثرثارًا ولا مباليًا إزاء المقدسات. تشمل كل العائلات هذا النوع من الخطأ الوراثي.

أصبح المنظر الطبيعي رائعًا. حاولت أن أفتح عيون قريبي الأمريكي على هذه الروعة. اكتفى بقول:

- أجل، بلد رائع.

خمنت أنه كان له أن يحظى بحماس مماثل لصحن فطائر شهية.

أردت التخلص منه بالسير بالسرعة القصوى. للأسف، التصق بردفي مرددًا:

- أحسنت يا فتاة!

Twitter: @ketab_n

كان خفيف الظل، أي لم يكن أرخص الزرادشتيين قيمة. كنت أحلم أن أستعيد عزلتي لمعايشة نوع من الحالات الروحانية المجوسية الفاجنرية النيتشوية(*) التي تتفق مع الوضع. كان هذا مستحيلاً، مع الجندي الأمريكي الذي كان يتحدث بلا توقف، ويسألني ما إذا كانت بلجيكا بلد زهور التوليب. لم ألعن شيئًا أبدًا كما لعنت الوجود العسكري الأمريكي في أوكيناوا.

على ارتفاع ثلاثة آلاف متر طلبت منه بأدب أن يصمت، شارحةً له أنه جبل مقدس، وأنني أريد تسلق الألفين وسبعة وسبعين مترًا الباقية في تأمل. "مفيش مشكلة"، قال. تمكنت من الابتعاد عن مرافقته وإنهاء الصعود وأنا منتشية.

على القمة كانت بدايات القمر، يحيط محيط شاسع من الحجارة بفوهة البركان. لا يمكن المحافظة على التوازن إلا إذا سرنا بمحاذاة الأسطوانة. إذا التفتنا، فسنجد ـ على مرمى البصر ـ السهل الياباني تحت السماء الزرقاء.

كانت الساعة الرابعة عصرًا.

– ماذا ستفعلين الآن؟ سألني الجندي الأمريكي.

– أنتظر حبيبي.

كان للإجابة تأثيرها المرجو: عاد الأمريكي فورًا نحو السهل. وتنفست الصعداء.

(*) نسبةً إلى المجوس، وفاجنر الموسيقار الألماني الشهير، ونيتشه المفكر.

Twitter: @ketab_n

سرت بمحاذاة فوهة البركان. يتطلب الأمر يومًا كاملاً، حسبما بدا لي، للطواف حول محيط الدائرة. لم يكن أحد ليجرؤ على المغامرة بالاقتراب من مركزه: كان البركان خامدًا، لكن القداسة كانت تحيط بمحجر العمالقة.

جلست على الأرض أمام المكان الذي يصل إليه الحجاج. لا أعرف سبب تسلق كل الناس للجبل المخروطي من نفس المنحدر. ربما فقط بموجب تماثل ياباني قبلتُ به، بما أنني أردت أن أكون يابانية. ما عداي أنا والأمريكي، لم أر أي أجنبي. كانت مراقبة وصول العجزة للقمة أمرًا مؤثرًا، يتكئون بوقار شديد على عصيهم، لكن اكتشافهم يدهشهم.

صرخ رجل في الثمانين من عمره، كان قد وصل حوالي الساعة السادسة مساءً:

- أنا ياباني جدير بهذا الاسم الآن.

هكذا، لم تكف الحرب لحفل تنصيب فارس. كان انحدار ٣٧٧٦ مترًا فحسب يعطي الحق في هذا اللقب.

في بلد سكانه أقل أمانة، كان سينسب الكثير من الناس لأنفسهم هذا الصعود بالاحتيال، فكان يجب وضع شباك يوزع شهادات على حافة فوهة البركان. كان هذا سيناسبني بشدة. للأسف، لا أمتلك سوى كلامي للتأكيد على استحقاقي؛ ولا شك أن هذا لا يساوي شيئًا بالنسبة لي.

لم يصل رينري سوى في السادسة والنصف مساءً.

- أنت هنا! صرخ بارتياح.

Twitter: @ketab_n

ـ منذ وقت طويل.

انهار على الأرض.

ـ لم أعد أتحمل.

ـ إذن، أنت ياباني حقيقي، الآن.

ـ كما لو كنت أحتاج هذا لأصبح يابانيًا حقيقيًا !

لاحظت اختلاف وجهة النظر بينه وبين الرجل الثمانيني. بدا أن الجنسية فقدت الكثير من منزلتها.

ـ لن تظل هنا، قلت له.

ورفعته لأقوده إلى الملجأ حيث يمكننا الحصول على فراش. وفيما كان يعرض على جاتوهًا جافًا ومياهًا غازية فلورية، ذكرته أننا سنستيقظ قبل الفجر لنشاهد الشروق.

ـ كيف صعدت بهذه السرعة ؟ سألني.

ـ لأنني زرادشتية، أجبت.

ـ زرادشتية. من كان يتكلم هكذا ؟

ـ نعم.

حفظ رينري المعلومة دون اندهاش واستغرق في النوم. هززته لأوقظه، كنت أود أن يمكث معي: كأنني أداعب الموت. فكيف يمكنني أن أنام؟ كنت على قمة جبل فوجي، إنه أمر مبهر بشدة يمنعني من إغماض عيني. خرجت من المأوى.

كان الليل يُغرق السهل الآن. من بعيد، لمحت قطرًا شاسعًا مضيئًا: طوكيو. كنت أرتجف من البرد والانفعال برؤية هذا الطريق المختصر الياباني أمام عيني: فوجي القديم والعاصمة المستقبلية.

Twitter: @ketab_n

تمددت على طول فوهة البركان وقضيت وقت سهادي أرتعش من أفكار أكبر مني بكثير. في المخيم، انتهى الجميع إلى النوم. أردت أن أكون أول من ترى أشعة الشمس الأولى.

بينما أنتظرها، لمحت مشهدًا لا يصدق. منذ منتصف الليل، أخذت المواكب المضيئة في تسلق الجبل. هكذا، كان هناك أشخاص لديهم الشجاعة للصعود ليلاً، بلا شك لتجنب البقاء طويلاً في البرد. في الواقع، ما لا يجب أن تفوت هي مراسم شروق الشمس. ليس مهمًا أن تكون في المقدمة. وعيوني مليئة بالدموع، كنت أشاهد دود الفراش الذهبي البطيء هذا يتسلق نحو القمة بتموُّج. بلا شك لم يكن يتكون من رياضيين بل من أشخاص عاديين. كيف لا يُعجب بشعب كهذا؟

نحو الرابعة صباحًا، مع وصول أوائل السائرين الليليين، بزغت خيوط الضوء في السماء. ذهبت لأوقظ رينري الذي دمدم أنه ياباني بالفعل، وأنه سيلتقي بي أمام السيارة بنهاية اليوم. فكرت إن كنت أستحق أن أكون يابانية، فكان يستحق أن يكون بلجيكيًا، وعدت للخارج. تكوَّن تدريجيًا حشد من الناس ببداية اليوم.

انضممت إلى المجموعة. وقف الناس وراقبوا الشمس بهدوء شديد. بدأ قلبي يدق بقوة شديدة. ما من سحابة في سماء الصيف. وخلفنا، هاوية البركان الميت.

فجأةً، ظهرت شظية بالأفق. سَرَتْ قشعريرة بالتجمع الأخرس. ثم، بسرعة لا تفتقر إلى الجلال، خرجت الأسطوانة كاملةً من العدم وعبأت السهل.

Twitter: @ketab_n

ثم حدثت ظاهرة لم تَكُفّ ذكراها عن استثارة مشاعري؛ مئات الصدور المجتمعة هنا، بما في ذلك صدري، صاحت:

- بانزاي !

هذه الصرخة كانت تلطيفًا بما يكفي عشرة آلاف عام للتعبير عن شعور الأبدية اليابانية التي أثارها هذا المشهد.

لابد أننا نشبه جمعًا يمينيًا متطرفًا. مع ذلك، لابد أن الناس الشجاعة التي كانت هنا أقل فاشية منك ومني. في الحقيقة، لا نتشارك في أيديولوجية لكن في ميثولوجيا، إحدى الميثولوجيات الأكثر فعالية في الكوكب، بكل تأكيد.

والعيون مليئة بالدموع، رأيت العلم الياباني يفقد تدريجيًا لونه الأحمر ليُفرغ ذهبه في السماء الصافية التي لا تزال باهتة. لم تكن أماتيراسو(*) قريبتي.

حين انتهت وهدأت النشوة الجماعية، سمعت شخصًا ما يقول :

- يجب أن نهبط مرةً أخرى. أجد هذا أكثر صعوبة من الصعود.
بدا أن الرقم القياسي في الهبوط خمس وخمسون دقيقة. تساءلت كيف يمكن أن يحدث هذا، خصوصًا أن الاختبار يُلغى في حالة السقوط: يجب أن يُقطع كله على القدمين.

(*) أماتيراسو هي إلهة الشمس، حسب العقيدة الشنتوية في اليابان.

Twitter: @ketab_n

- يبدو لي هذا واضحًا، قال شخص آخر.

- كلا. الأرض زلقة إلى حد أنه يمكننا الهبوط جلوسًا. رأيت امرأة عجوزًا تفعل هذا.

- أتقول إنه ليس صعودك الأول؟

- إنها ثالث مرة. لا أملٌ من ذلك.

"كان يستحق الجنسية اليابانية عدة مرات"، فكرت. لاقى كلامه أذنًا منصتة.

وقفت أمام النجمة، وفي الخامسة والنصف تمامًا، ألقيت بنفسي في المنحدر. أقصيت مكابحي. ما كنت أختبره كان فوق الروعة: كي لا أسقط، يكمن الحل في تحريك الساقين بلا توقف، والجري في الحمم، وأن يكون المخ بنفس سرعة القدم، وعدم مقاطعة يقظة جنونها للحظة، والضحك حتى لا تسقط وقت الانزلاقات التي لا مفر منها وتسرع المعدل؛ كنت شهابًا متفجرًا تحت شروق الشمس، كنت موضوع دراستي البالستية الخاص بي، كنت أصرخ لأوقظ البركان.

حين وصلت إلى المرآب، لم تكن الساعة قد بلغت السادسة والربع بعد: كسرت الرقم القياسي، وبفارق كبير. للأسف، لا شيء يسمح بتسجيله. لن يكون رقمي القياسي أبدًا سوى أسطورة شخصية.

سمح لي وجود صنبور بغسل وجهي الذي اسودَّ من مقذوفات الحُمم، وأن أروي ظمئي. لم يبق لي سوى انتظار رينري. قد

Twitter: @ketab_n

يستغرق الأمر وقتًا طويلاً. لحسن الحظ، من المستحيل الانزعاج من مشاهدة مرور الناس أمامي، خاصةً في اليابان. جلست على الأرض وتأملت ـ لساعات ـ من أعتبرهم تقريبًا كمواطني بلدي.

لابد أن الساعة كانت الثانية بعد الظهر حين انضم رينري لي. بدا كأشلاء مفصولة. بلا تذمر، أعادني إلى طوكيو بالمرسيدس.

في اليوم التالي، أرسل لي اثنتين وعشرين وردةً حمراء. كانت معها بطاقة: "عزيزتي الزرادشتية، عيد ميلاد سعيدا"، اعتذر عن عدم كونه إنسانًا خارقًا ليقدمها بنفسه. لم تعد ساقاه المتألمتان تحملانه.

Twitter: @ketab_n

بعد عدة أيام، أبلغني رينري في الهاتف أن عائلته سافرت في رحلة لمدة أسبوع. طلب مني أن أمكث معه خلال هذه المدة.

وافقت بفضول وقلق: لم أُقِم أبدًا هذه المدة الطويلة معه.

أتى ليصطحبني مع أمتعتي. وأنا مرعوبة جدًا، حين وصلنا للقصر الأسمنتي، سألت:

ـ أين سأنام ؟

ـ معي، في فراش والديَّ.

اعترضت على هذا العمل الأخرق. قام رينري بهز كتفيه كالعادة.

ـ فراش والديك، رغم ذلك.

ـ ماداما يجهلان الأمر، قال.

ـ أنا، لا أجهله.

ـ لماذا تريدين أن ننام بسريري الصغير المخصص لشخص ؟ سيكون جحيمًا.

ـ أليست هناك إمكانية أخرى ؟

ـ بلى. النوم في فراش جديَّ.

Twitter: @ketab_n

كان لهذه الحجة تأثيرها. نظرًا للاشمئزاز الذي يثيره فيَّ جداه، وافقت بارتياح على النوم في فراش والديه.

كان فراشًا مائيًا ضخمًا. كانت فخاخ كهذه رائجة قبل عشرين عامًا. نشعر عليها بانزعاج غريب.

- مثير للاهتمام، أبديت ملاحظة. يجبرك هذا على التفكير في أصغر حركة تقوم بها.

- كان بمقدورنا أن نعتقد أننا على زورق في فيلم الخلاص(*).

- بالضبط. الخلاص، هو أن نخرج من هنا.

أغلق رينري، الذي أعد قوائم طعام استثنائية مقدمًا، على نفسه المطبخ. تنزهت في القصر الأسمنتي.

لمَ لا يمكنني التخلص من قناعتي بأن هناك آلة تصوير تراقبني؟ كنت أشعر أن عينًا خفية تلازمني. كشرت نحو السقف، ثم نحو الجدران: لم يحدث شيء. كان العدو ماكرًا بتظاهره بعدم ملاحظة سوء سلوكي.

فاجأني الشاب وأنا أُخرج لساني للوحة معاصرة.

- ألا تعجبك أعمال ناكاجامي؟ سأل.

- بلى. إنها رائعة، قلت بحماس صادق نحو اللوحة الرائعة الغامضة.

استنتج رينري أن البلجيكيين يُخرجون ألسنتهم للوحات التي تثير مشاعرهم!

(*) الخلاص: فيلم أمريكي (١٩٧٢) من إخراج جون بورمان مقتبس من رواية بنفس الاسم للكاتب جيمس ديكي صدر عام ١٩٧٠ .

Twitter: @ketab_n

على المائدة، سبانخ بالسمسم، بيض سمان بارد مقلي بصلصة ساخنة، قنافذ البحر. شعرت بالشرف أمام هذه الأطباق، لكنني لاحظت أنه لم يكن يأكل شيئًا:

- ماذا إذن؟

- لا أحب هذه الأكلات.

- لماذا أعددتها؟

- لك. أحب مشاهدتك وأنت تأكلين.

- أنا أيضًا أحب مشاهدتك وأنت تأكل، قلت وأنا أشبك ذراعي.

- من فضلك، كُلي المزيد، إنه جميل جدًا.

- سأُضرب عن الطعام لوقت طويل إلى أن تأتي بطعامك.

كنت أتعذب، لا فقط لإحزانه، لكن بالذات لامتناعي عن افتراس هذه الروائع التي كانت تجتذب عيني.

حزينًا، ذهب رينري إلى المطبخ وعاد منه بسلامى أمريكي من أصل إيطالي وجرة مايونيز. فكرت: "كلا، لن يفعل هذا على أية حال". ومع ذلك فعل: تناول كل شريحة سلامى وعليها سنتيمتر من المايونيز. انتقام أم استفزاز؟ تظاهرت باللامبالاة وواصلت تذوق هذه الكنوز الرفيعة، وهو يقهقه من السعادة لافتراسه هذا الكابوس. فاجأ مظهري المصعوق وسأل، ساخرًا:

- ألا تريدينني أن آكل؟

- أنا مبتهجة، كذبت. يأكل كل منا ما يفضله، هذا جيد جدًا.

- لديَّ رغبة أن أدعو كل أصدقائي لأقدمهم لك. هل توافقين؟

- وافقت. تم تحديد المساء بعد خمسة أيام.

Twitter: @ketab_n

كانت فترة عطلات. لم أخرج من القصر الأسمنتي. كان رينري يعاملني كأميرة. في البهو، تحت لوحة ناكاجامي، وضع لي مِحبَرة مبرنقة. لم أكتب أبدًا في مثل هذه الظروف التي، فضلاً عن ذلك، لم تكن توافقني أبدًا، لصنع ما يشبه مادة سيئة، رؤية حتى بلا قيمة. صبغ الورنيش أصابعي، وتلطخت مخطوطتي.

كان رينري ينظر لي بحماقة، جف قلمي. حينئذ كان رينري، وكأنه يناشدني، يتظاهر بالكتابة، وفهمت أنه يكفي تدوين أي شيء، كان سعيدًا جدًا. مثل بطل "اللمعان"(*) كتبت ألف مرة أنني في طريقي الآن للجنون. لكن عدم وجود بلطة في الجوار لم يسمح لي بمواصلة هذا التقليد.

الشكل الوحيد، حتى الآن، للحياة الثنائية التي عرفتها كانت مع أختي. لكن هذه الحياة ـ بهذه المرحلة ـ لم تكن ثنائيتي حياة ثنائية، كانت بالأحرى وجود كائن كامل دون استقصاء.

ما كنت أشعر به مع رينري كان جديدًا، ويتمحور حول المشاركة في إحراج ساحر. كانت هذه الحياة الثنائية تشبه الفراش المائي الذي كنا ننام عليه: عفا عليه الزمن، غير مريح وغريب. تتألف علاقتنا من الشعور معًا بانزعاج مؤثر.

كل مرة كان يصرح لي بأنني جميلة، كان رينري يقاطع كل شيء: كان يجب أن أحافظ على الوضعية، أيًا ما كانت، التي لم تخل أبدًا من الغرابة. كان الشاب يسير إذن حولي ويطلق "آهات" مثيرة

(*) فيلم اللمعان The Shining عن كاتب يقبل عملاً بفندق معزول. كان ابن الكاتب يرى أشباحًا بالفندق. بعد الانتقال للفندق، أصبح الكاتب متأثرًا بالوجود الخارق في الفندق المسكون، وفقد عقله وحاول قتل زوجته وابنه.

Twitter: @ketab_n

للمشاعر. لم أكن أفهم. يومًا ما، دخلت المطبخ حيث كان منشغلاً بشدة. أغوتني ثمرة طماطم، قضمتها. صرخ، ظننتها إحدى حالاته الشهيرة للتصريح بالجمال، وأوقفت حركتي. انتزع مني ثمرة الطماطم، وقال إن هذه الفاكهة تفسد بشرتي. من شخص يأكل السلامى بالمايونيز، وجدت الكلام ضخمًا، واستردت الطماطم. تحسر في يأس على زوال البياض.

أحيانًا، كان الهاتف يرن. كان ينهي الاتصال على الطريقة اليابانية، بمعرفة ما يشك فيه بقول القليل من الأشياء. كانت الاتصالات تستمر عشر ثوان بالحد الأقصى. لم أكن أعلم بعد هذا التقليد الياباني، وفكرت مرةً ثانيةً أنه كان ينتمي للياكوسا، شأن سيارته المرسيدس بلا شائبة، وهو الأمر الذي تركه يفترض ما سيقال. كان يذهب بالسيارة ليشتري أشياءً ويعود بعد ساعتين بثلاثة جذور زنجبيل. كانت هذه المشتريات تخفي بالتأكيد صدمةً ما. زد على ذلك، فقد كانت لديه، بفضل أخته، علاقات مع العصابة الكاليفورنية.

في وقت لاحق، حين تأكدت من براءته، علمت أن الحقيقة كانت لا تصدق بشكل أكبر: كان يستغرق فعلاً ساعتين في اختيار ثلاثة جذور زنجبيل.

كان الوقت يمر ببطء. كان يمكنني أن أخرج، لكنني لم أفكر في ذلك. كانت هذه الإقامة تسحرني. فحين كان رينري يرحل إلى مغامراته الغامضة، كنت أريد الاستفادة من وحدتي للقيام بأفعال

Twitter: @ketab_n

سيئة: أدور في القصر الأسمنتي، باحثةً عن احتمالية الإضرار بي، ولم أجدها. حرب متعبة، سأكتب.

عاد. استقبلته باحتفالية وأنا أدعوه داناساما (سيادتك، سيدي). أكد دونيته وسجد وهو يسمي نفسه "عبدك". بعد تقليدنا الأخرق، كان يريني ما جلبه.

- ثلاثة جذور زنجبيل، هذا رائع! تعجبت.

كنت أتخيل نفسي أشارك بالفعل في ندوة عن زوجات المجرمين الكبار. "كيف علمت أن خطيبك رئيس عصابة؟"

حاولت فهم معنى تصرفاته. كانت لديه تصرفات غريبة جدًا. وضع وسط البهو برميلاً ضخمًا من البامبو يحتوي على رمل. صَقل به الأرض ثم رسم على الأرض - وهو واقف - إشارات غامضة بقدمه العارية.

حاولت فك شفرات ما كان يكتبه حينها، لكن، حياءً منه، مسحها بكعبه. بدا لي أن هذا هو ما أكد افتراضية اللصوصية. متظاهرةً بالبراءة، سألته عن معنى هذه الخطوط.

- تساعدني على التركيز، قال.
- فيم تركز؟
- في لا شيء. نحتاج أن نركز دائمًا.

لم يكن هذا مقنعًا؛ كان دائمًا هائمًا. انتهى هذا بتذكيري بشخصٍ ما.

- كان المسيح، وقت حادث المرأة الزانية، يرسم إشارات على الأرض بقدمه، قلت.

Twitter: @ketab_n

ـ آه، علق باللامبالاة العميقة التي يشعر بها تجاه كل موضوع ديني سوى موضوع فرسان الهيكل، ستعرفون السبب.

ـ أتعرف أن الرومان حفروا كلمة "إينري" على يسوع، وهو على صليب المعاناة؟ إنه اسمك، بفارق حرف.

وشرحت له الأحرف الأولى للكلمات. تمكنت من إثارة اهتمامه.

ـ لماذا اسمي به حرف إضافي؟ سأل.

ـ ربما لأنك لست المسيح، اقترحت.

ـ أو أن المسيح لديه حرف إضافي. الراء في البداية يمكنها أن تكون محارب ساموراي بلا سيد.

ـ أتعرف الكثير من المصطلحات التي تمزج اليابانية باللاتينية؟ سألت بسخرية.

ـ إن عاد المسيح اليوم، لما اكتفى بالتحدث بلغة واحدة.

ـ نعم، لكنه لن يتحدث اللاتينية.

ـ لم لا؟ سيمزج بين العصور.

ـ وترى أنه سيكون محارب ساموراي؟

ـ إلى أقصى حد. خاصةً حين يُصلب وهو يقول: "لماذا تركتني؟" جملة تليق بمحارب ساموراي بلا سيد.

ـ هل تعرفه؟ هل قرأت الكتاب المقدس؟

ـ كلا. كان في كتاب كيف تصبح فارس الهيكل.

هذا العنوان جعلني أفكر أنني وصلت في الوقت المناسب.

ـ أهناك كتاب ياباني بهذا العنوان؟

Twitter: @ketab_n

- نعم. أنتِ فتحتِ عيني. أنا يسوع محارب الساموراي. أنا الساموراي يسوع.

- كيف تتشابه أنت والمسيح؟

- سنرى جيدًا. لا أبلغ سوى واحد وعشرين عامًا.

أضحكتني هذه الخاتمة التي تركت له المجال حرًا.

أتى يوم تناول العشاء مع أصدقائه. منذ الصباح، استأذن رينري بأنه يجب أن يتركني، وانعزل في المطبخ.

ما عدا هارا ومازا، لم أكن أعرف من الذي سأقابله. لا يبدو السابق ذكرهما من عصابة الياكوسا، ولا حتى رينري. ربما ينهمك الآخرون أكثر في عملهم.

تأملت طويلاً لوحة ناكاجامي الضخمة. حتى أخفت أنواع الموسيقى يمكنها أن تعيق تأمل هذه الروعة الغامضة.

نحو الساعة السادسة مساءً، رأيت رينري يظهر، مبتلاً بالعرق، من بين قدوره ويضع غطاء على مائدة طويلة. اقترحت أن أساعده، منعني من ذلك. ثم انطلق بسرعة ليستحم وانضم لي. في السادسة وخمس وخمسين دقيقة، أبلغني بوصول الضيوف.

- هل سمعتهم؟ سألت.

- كلا. دعوتهم للحضور على الساعة السابعة والربع مساءً. هذا يعني أنهم سيصلون هنا في السابعة.

في السابعة مساءً بالضبط، أكدت دقة ناقوس مقتضبة هذه الدقّة في المواعيد. كانوا أحد عشر شابًا ينتظرون خلف الباب، لكن لم يصلوا معًا.

Twitter: @ketab_n

أدخلهم رينري، حياهم سريعًا ثم اختفى في المطبخ. أنعم عليَّ هارا ومازا بإيماءة برأسيهما. قدم التسعة الآخرون أنفسهم. كان الصالون كبيرًا بما يكفي ليسعنا. قدمت الجعة التي أعدها رينري.

كان الجميع ينظرون لي في صمت. حاولت أن أفتح حوارًا مع مَن أعرفهم من قبل، بلا جدوى، ثم مع مَن لا أعرفهم بعد، جهدٌ ضائع. داخليًا، توسلت إلى رينري أن نجلس إلى المائدة حتى يتبدد هذا الإحراج.

كان الخرس ضاغطًا إلى حد أنني أخذت أسترسل في أي موضوع:

- لم أكن أعتقد أبدًا أن اليابانيين يحبون الجعة إلى هذا الحد. تحققت هذا المساء مما لاحظته مرات عديدة: حين يُقترح عليكم شرابٌ ما، تختارون دائمًا الجعة.

كانوا يسمعونني بأدب ولم يقولوا شيئًا.

- هل كان اليابانيون يحتسون الجعة في الماضي؟

- لا أعلم، قال هارا.

هز الآخرون رؤوسهم لتأكيد عدم معرفتهم. ساد الصمت من جديد.

- في بلجيكا، نحتسي الكثير من الجعة أيضًا.

كنت أتمنى أن يتذكر هارا ومازا هديتي التي قدمتها في سهرتنا السابقة ويتحدثا عنها، لكن ذلك لم يحدث. اضطررت أن أستأنف الحديث، وقلت كل ما أعرفه عن جعات بلادي. كان الأحد عشر شابًا يتصرفون كأنهم مدعوون إلى محاضرة، كانوا يستمعون لي باحترام؛ خشيت أن يخرج أحدهم دفترًا ليدون ملاحظات! الشعور بأني كنت سخيفة هو أقل ما يمكنني قوله.

Twitter: @ketab_n

ما إن كنتُ أصمت، حتى كان ذلك يعود من جديد. بدا الأحد عشر شخصًا منزعجين من الصمت، لا أحد منهم، مع ذلك، حاول أن يساعدني. أحيانًا كنت أختبر سلوكهم، بدفعهم حتى آخر حصون صمتهم؛ خمس دقائق، على ساعة اليد، مرت، بلا كلمة. حين وصلنا جميعًا إلى ذروة العذاب، انطلقت بقدر ما أستطيع:

- هناك أيضًا الرودنباخ، وهي جعة حمراء. نسميها أيضًا الجعة

- النبيذ.

على الفور، تحسن تنفسهم. انتهى بي الأمر إلى أن أتمنى أن يعاملوني كمحاضِرة حقيقية ويطرحوا عليَّ الأسئلة.

حين نادانا رينري للجلوس إلى المائدة، تنفست الصعداء. جلسنا وفقًا لخريطة مستطيلة، كنت أحتل مركزها، ولاحظتُ أنه لم يعد ثمة مكان لسيد المكان.

- "لقد نسيت وضع أدوات الأكل"، همستُ له.

- كلا.

ذهب إلى المطبخ في الحال، ولم أستطع أن أعرف عن الأمر أكثر. عاد بصينية عجائب وضعها أمامنا: فطائر هندباء، أوراق الشيزو محشوة بجذور زهور اللوتس، فول محفوظ في ثمار الأترج، جمبري مقلي صغير يُلتهم كاملاً. حين سكب ساكي دافئًا لكل منا، اختفى وأعاد غلق باب المطبخ.

حينها فهمت: سأكون المضيفة الوحيدة لهذا العشاء. فرينري، مثل الزوجة اليابانية، سيظل محبوسًا في المكان المخصص للعبيد.

Twitter: @ketab_n

يبدو أنني كنت المندهشة الوحيدة، إلا لو كان أدب المدعوين قد منعهم من إظهار مفاجأتهم. حيًّا همسٌ مادحٌ جودة الأطعمة. كنت آمل أن تفك هذه الوجبة الممتازة عقدة ألسنتهم على الأقل. لم يحدث شيء. تذوقوا كل أنواع الطعام في صمت ديني.

وافقتُ على هذا السلوك؛ فلطالما اعتبرتُ واجب الحديث أثناء التمتع بروائع فن الطبخ أمرًا يثير الغيظ. فكرتُ في أن رينري قد أنقذني - رغم هذا - في نهاية المطاف، استغرقتُ في التأمل ولعقتُ شفتي دون أن أقول شيئًا.

بعد هذه النشوة الغذائية، لاحظتُ أن الضيوف ينظرون إليَّ بطريقة فيها نوع من الانزعاج والتساؤل: بدا أنهم لا يفهمون لماذا لم أعد أهتم بهم. قررت أن أقوم بإضراب عن الكلام. إن أرادوا أن يتحدثوا، فليتحدثوا! فبعد محاضرتي عن الجعة البلجيكية، كنتُ أستحق راحتي وتناول وجبتي. لقد استقلت من وظيفة الخطابة.

مر رينري ليأخذ الأطباق الفارغة وأتى لكل شخص بقدح مبرنق من حساء السحلبية. هنأته بحماسه على عمله. أما الآخرون فقد صدقوا دوره كزوجة يابانية إلى حد أن اكتفوا بكلمة مجاملة. أخفض العبد عينيه بتواضع وركض ليغلق على نفسه سردابه دون النطق بكلمة.

كان حساء السحلبية رائعًا مثلما كان بلا مذاق. بعد التأمل، لم يعد هناك ما ننشغل به. أصبح الصمت مزعجًا مرة أخرى.

قال هارا حينها شيئًا لا يصدق:

- إذن، كنت تتحدثين عن الجعة.

Twitter: @ketab_n

تجمدت ملعقتي في الهواء وفهمت: كانوا يطلبون مني استئناف محاضرتي. أكثر تحديدًا، قرروا أنني متحدثة هذا المساء.

اخترع اليابانيون هذه الوظيفة الرائعة: إجراء حوار. لاحظوا أن ما يثير الإزعاج أثناء تناول العشاء هو هذا الواجب الممل للحديث. في العصور الوسطى، أثناء المآدب الإمبراطورية، كان الجميع يصمتون، وكان هذا جيدًا جدًا هكذا. في القرن التاسع عشر، اكتشافُ العادات الغربية حث الناس المتميزة على الحديث على المائدة. سرعان ما اكتشفوا ملل ذلك الجهد الذي كان - في وقتٍ ما - مخصصًا لراقصات الجيشا اللائي سرعان ما قل عددهن، فوجدَتْ البراعةُ اليابانية الحل بْخلق وظيفة المتحدث.

يتلقى المتحدث، قبل كل مهمة، ملفًا يحتوي على خريطة المائدة وهوية المدعوين. يمكنه أن يستعلم عن كل شخص في حدود اللياقة. وقت تناول الطعام، يدور المتحدث، المزود بمكبر صوت، حول المأدبة قائلاً: "السيد توشيبا هنا حاضر، رئيس الشركة المشهورة، يقول غالبًا للسيد ساتو، الذي كان في نفس دفعته في الجامعة، إنه لم يتغير كثيرًا منذ ذلك الوقت. سيجيبه الأخير أن التدريب المكثف للجولف يساعد على الإبقاء على اللياقة، كما قال ذلك أيضًا الشهر الماضي في جريدة أشاي شيمبون. وسيقترح عليه السيد هورييه في المستقبل أنه من الأفضل أن يقبل الأحاديث الصحفية لجريدة مينيشي شيمبون حيث يعمل رئيس تحرير..."

هذه الثرثرة، غير مثيرة للاهتمام بالتأكيد، لكن ليس أقل من ثرثرات عشاءاتنا الغربية، ولها مزية غير قابلة للنقاش وهي السماح

Twitter: @ketab_n

للضيوف بتناول الطعام بسلام دون أن يجبروا أنفسهم على الحديث. الأمر الأكثر مفاجأة والمدهش هو أنهم يستمعون للمتحدث.

- لا نزال نصنع في بروكسل جعة بلجيكية قوية حرِّيفة..، قلت.

عادت المحاضرة. أبدى أصدقاء رينري علامات الرضا على الفور. فتتهم زَرع بذور الجعة بالخميرة الطبيعية، لا سيما وأنه لم تكن هناك مقاطعةٌ ما. داخلي، ندمت على أنني لم أكن مسجلة بنقابة: كنت متحدثة بلا أجر، والأسوأ أنني لم أتلق أي ملف عن هؤلاء الأشخاص، إذن كيف تريدون أن أزاول مهنتي في مثل هذه الظروف؟

كنت أزاولها مع ذلك بشجاعة، مع الاحتفاظ بضغينة لرينري والتهيؤ لانتقام مستقبلي منه. رفع رينري أقداح حساء الكاتليا واستبدلها، لخيبة أملي الكبرى، بفطائر فردية من شوان موشي، وأنا التي أبيع أبي وأمي مقابل كعكة فواكه البحر والفطر الأسود برائحة السمك هذه التي يجب أن تؤكل ساخنة جدًا، وعلمت أنني لا يمكنني ابتلاع لقمة منها، لأنني يجب أن أشرح لماذا يمثل "الأورفال" نوع الخمر الوحيد الذي يُحتسَى بدرجة حرارة المكان.

كانت نسخة بلجيكية من "العشاء الأخير"، حيث يلوح مسيحٌ من الريف بكأس، ليس مملوءًا بنبيذ بل بجعة، وقال: هذا دمي، الزواج البريء الجديد والأبدي، أسكبها لكم وللكثيرين لمغفرة الخطايا، ستفعلون هذا في ذكرى تضحيتي، لأنه بينما تقيمون وليمة أسماك القديس جاك، هناك مَن يعمل، فيما يخص الثالث عشر الذي

Twitter: @ketab_n

يختبئ خلف مواقده ولا يجرؤ حتى على أن يأتي ليقبلني قبلة يهوذا، لن يخسر شيئًا بالانتظار.

جلب مَن جرؤ على الزعم بأنه الساموراي يسوع التحلية، بدءًا من المهلبية وصولاً إلى شاي الاحتفالات اللذين لم أر منهما شيئًا، لأنني كنت أختم كلامي حينها:

- الكثير من أنواع الجعة التي تحدثتُ عنها هذا المساء تُباع في كينوكونيا، وحتي بعض منها يباع في المركز التجاري أزابو.

استحققت ما هو أفضل من التصفيق الحار: لاحظتُ أنهم قد أنهوا طعامهم في راحة بال كاملة، تهدهدهم الضوضاء الخلفية التي حققتها لهم محاضرتي؛ وصلوا إلى تخمة الحواس هذه التي يمكن أن تحققها الوليمة التي تناولوها في هدوء تام. لم أكن عديمة الجدوى.

بعد ذلك، طلب رينري منا أن نذهب إلى الصالون، وانضم إلينا لاحتساء القهوة. ما إن أصبح بيننا، حتى عاد المدعوون شبابًا في الحادية والعشرين أتوا لقضاء السهرة بمنزل رفيقهم: أخذوا يتحدثون بطريقة طبيعية جدًا، ويضحكون، ويسمعون فريدي مركوري وهم يدخنون، واسترخوا وأرجلهم متباعدة. أما أنا - التي اضطررتُ لمواجهة صمت أحد عشر راهبًا بوذيًا بصلابة لا غبار عليها - فقد شعرتُ أن اليأس يجتاحني.

انهرتُ على أريكة، مستنفدةً للغاية كأنني احتسيت كل الجعة التي تحدثتُ عنها، ولم أصدر صوتًا حتى رحيل الغزاة. أردتُ خنق رينري: لقد كان يكفي أن يشرفنا بوجوده خلال الثلاث الساعات السابقة ليوفر عليَّ هذه التجربة! كيف سأمنع نفسي من قتله؟

Twitter: @ketab_n

حين ودعنا المتطفلون ورحلوا، أخذتُ نفسًا عميقًا حتى أحافظ على هدوئي.

ـ لماذا تركتني بمفردي معهم لثلاث ساعات؟

ـ حتى تتعرفوا على بعضكم البعض.

ـ كان يجب أن تشرح لي دليل المستخدم. فرغم جهودي، لم ينطقوا بكلمة.

ـ وجدوك ظريفةً جدًا. أنا سعيد: أصدقائي يحبونك، وكانت السهرة رائعة.

محبطةَ العزيمة، صَمَتُّ.

لابد أن الشاب أدرك ذلك، لأنه انتهى إلى القول لي:

ـ أعلنوا عن إعصار نهاية الأسبوع. اليوم الجمعة مساءً، سيعود والداي يوم الاثنين. فإن أردتِ، فسأغلق مصاريع النوافذ، ولن أعيد فتحها أبدًا قبل يوم الاثنين. سأغلق الباب بالمتراس. لا أحد سيدخل، ولا أحد سيخرج.

أغرتني الخطة. رفع رينري الجسر المتحرك وضغط على الزر الذي يغلق الشبابيك. توقف العالم الخارجي عن الوجود.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

بعد ثلاثة أيام، استعاد الواقع حقوقه. فتحتُ النوافذ وحملقت.

- رينري، تعال انظر.

كانت الحديقة مدمرة. كانت شجرة الجيران قد سقطت على سقف المنزل الذي أصبح ينقصه بعض القرميد. كان هناك صدع يشق الأرض.

- كأن جودزيلا(*) قد زارنا، علّقت.

- أعتقد أن الإعصار كان أقوى من المتوقع. لا شك أن زلزالاً قد حدث.

كنتُ أنظر إلى الشاب وأنا أكبت رغبتي في الضحك. كانت على وجهه ابتسامة رصينة وسريعة. أعجبت بقلة تباهيه.

- فلنذهب لمحو آثار مرورنا بغرفة الوالدين، اكتفى بقول هذا.

- سأساعدك.

الأفضل أن ترتدي ملابسك. سيصلان بعد ربع ساعة.

(*) وحش بالسينما اليابانية على شكل سحلية عملاقة من قبل التاريخ.

Twitter: @ketab_n

بينما كان ينظف اسطبلات أوجياس(*) ارتديت أخف فساتيني: كانت الحرارة خانقة.

بكفاءة باهرة، أعاد رينري للمكان هيئته الأصلية في وقت قياسي، وأصبح بجانبي لاستقبال عائلته.

كنا نقول لهم الصيَغ المعتادة ونحن ننحني، عندما أشار إليَّ الجدان والأم وهم يضحكون بصوت عال. في قمة خجلي، تفحصتُ نفسي من القدمين للرأس، وأنا أتساءل عمًّا يضحكهم، لكني لم أر شيئًا.

انضم العجوزان لي وكانا يلمسان جلد ساقي وهما يصرخان:

- شييروي آشي! شييروي آشي!

- نعم، ساقاي بيضاوان، تمتمت.

ابتسمت الأم، وقالت لي بخبث:

- في بلدنا، حين ترتدي فتاة فستانًا قصيرًا، ترتدي جوارب طويلة، خاصةً إن كانت ساقاها بهذا البياض.

- جوارب طويلة، بدرجة الحرارة المرتفعة هذه؟ تساءلت.

- نعم، بدرجة الحرارة المرتفعة هذه، أجابت بصوت بارد.

الأب المهذب، غيَّر موضوع الحديث وهو ينظر إلى الحديقة.

- كنت أتوقع أن تكون الأضرار أكثر سوءًا. قتل الإعصار عشرات الأشخاص على الساحل. في ناجويا، لم نشعر بشيء. وأنتم؟

(*) ظلت حظائر الملك أوجياس بلا تنظيف لمدة ثلاثين عامًا، إلى أن نجح هرقل في تنظيفها.. وفقًا للأساطير اليونانية.

Twitter: @ketab_n

ـ لا شيء، قال رينري.

ـ أنت، معتاد. لكن أنتِ، إميلي، ألم تخافي؟

ـ كلا.

ـ أنت فتاة شجاعة.

بينما كانت العائلة تستعيد حيازة مسكنها، أعادني رينري إلى منزلي. وكلما ابتعدنا عن القصر الأسمنتي، كنت أشعر أنني أعود إلى العالم الحقيقي مرةً أخرى. عشتُ سبعة أيام بعيدة عن صخب المدينة، دون منظر آخر سوى حديقة تأملات صغيرة ولوحة غسقية لناكاجامي. عُوملت كما تُعامل القليل من الأميرات. بالقياس، بدت طوكيو مألوفةً لي.

لم يترك الإعصار والزلزال آثارًا ملموسة. إنها هناك أشياء مألوفة.

كانت نهاية العطلات. وعدت لدروسي اليابانية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كنتُ ضحية الناموس في شهر سبتمبر. لابد أن دمي يعجبه، كانت جموعه تنقضُّ عليَّ. لاحظ رينري الظاهرة، وأكد أنني كنت أفضل حماية ضد الطامة المصرية(*): كانت رفقتي تعمل كواقية ضد الصواعق.

حاولت عبثًا أن أدهن جسدي بليمونة أو مراهم منفرة، كانت جاذبيتي تطغى عليها. تذكرتُ الأمسيات المجنونة حيث كان ينبغي، بالإضافة للجو الخانق، أن أتحمل هذا اللدغ الذي لا يحصى. كان الخمر المشبع بالكافور يريحني قليلاً. سريعًا جدًا، اكتشفتُ الاستراتيجية الوحيدة: التقبل. تلقي الوخز، وألاَّ أحك جلدي مطلقًا.

من فرط تحمل ما لا يطاق، أصبحت المشاعر تبعث على الرضا: ما إن تقبلتُ الحك حتى انتهى الأمر إلى إثارة الروح وبث سعادة بطولية.

(*) المقصود: الضربات العشر، وهي عشر طامات أنزلها الله على مصر، وفقًا لـ"سِفر الخروج" بـ"العهد القديم".

Twitter: @ketab_n

في اليابان، لإبعاد البعوض يشعلون كاتوريسنكو: لم أعرف أبدًا ممَّ تتكون هذه الحلزونات الخضراء الصغيرة التي يُبعد احتراقها البطيء الطفيليات. أشعلتها أنا أيضًا، فعلت هذا على الأقل من أجل جمال هذا البخور الغريب، لكن قدرتي على الإغراء كانت كبيرة لحد أن الناموس لم يردعه هذا الفعل البسيط. تلقيتُ الشحنة الضخمة من الحب من هذه السلالة التي تطن بعزيمة، بعد التعذيب، والتي - بعد زوال العذاب - تتحرك برشاقة. كان الدم يدغدغني من المتعة: هناك شهوة في أعماق ما يؤلم.

بفضل هذه التجربة، فهمتُ معابد الناموس التي رأيتها في الهند قبل عشر سنوات: كانت الجدران تحتوي على فخاخ حيث يعرِّض المؤمنون ظهورهم لألف قرصة في نفس الوقت. كنت أتساءل دائمًا كيف يتمكن الناموس من تناول الولائم في هذا الاختلاط الذي يتجاوز للغاية اختلاط العربدة الجماعية، وأيضًا كيف يمكن أن تحب هذه الربَّات المجنحة، لحد أن يهب المرء نفسه لها كطعام بهذه الطريقة. يظل تخيل الظهر المتورم - بعد عربدة الحشرات هذه - الأمر الأكثر روعة.

بالتأكيد، لم أكن لأصل أبدًا إلى حد إثارة ذلك العذاب، بالرغم من أنني اكتشفت أنه يمكننا تقبل هذا المصير بطريقة حماسية. كلمة "الحكة" أصبحت أخيرًا مبررة: لم أعد أقدم نفسي طعامًا، لكني أصاب بالحكة، كان هناك بدمي ما يكفي لجعل وليمة دويبات طائرة تتوق إليه؛ كنت، بسبب انعدام الخيارات، وليمةً راضية.

خرجت صلابتي الرواقية مدعمة: عدم حك جلدي هي خبرة كبيرة للروح. لم يكن هذا أقل خطورة. ذات ليلة، سمم الناموس

Twitter: @ketab_n

مخي لدرجة أنني وجدت نفسي عارية أمام منزلي في الثانية صباحًا، بلا تفسير. بأعجوبة، كان الزقاق مهجورًا ولم يرني أحد. عدتُ لمنزلي ما إن استعدتُ وعيي. كوني عشيقة ألف حشرة يابانية له عواقبه الوخيمة.

انخفضت درجة الحرارة في شهر أكتوبر. بدأ الخريف في تألقه الزائد. حين أُسأل في أي موسم يجب زيارة اليابان، أجيب دائمًا: في أكتوبر. ففيه كمال الجمال والطقس مؤكدان.

يتفوق القيقب الياباني على القيقب الكندي في جماله. لإطراء يدي، كان رينري يردد على مسامعي التعبير التقليدي:

- يداكِ في كمال ورقة شجر القيقب.

- في أي موسم؟ سألت، متسائلةً عما إن كان من الأفضل أن تكون خضراء، صفراء أم حمراء.

دعاني لزيارة جامعته، التي لم يكن بها شيء ذو بال، لكن حدائقها كانت جديرة بالتجول بها. ارتديت فستانًا طويلاً من المخمل الأسود، أردت أن أكون على نفس رقي الطالبات اليابانيات الساحرات اللاتي لن أضيع فرصة لقائهن.

- تبدين كأنك ذاهبة إلى حفل راقص، لاحظ رينري.

خارج الإحدى عشرة جامعة حسنة السمعة، كان البلد يزدهر بألف مؤسسة يسهل الالتحاق بها تسمى "جامعات المحطة"، لأنه يوجد منها قدر وجود محطات القطار، والتي عددها ليس بقليل في هذه الأرض التي تحتلها السكك الحديدية. أتيحت لي الفرصة إذن لاستكشاف إحدى هذه الجامعات، حيث كان رينري يقضي بضع سنوات من العطلة.

Twitter: @ketab_n

كانت مستعمرة فاخرة يتسكع فيها الشباب بلا عمل. ترتدي الفتيات ملابس غريبة لدرجة أنني أصبحت غير مرئية. تبث هذه الأماكن جوًا رقيقًا لمنتجع.

من الثالثة في العمر حتى الثامنة عشرة، يدرس اليابانيون كالممسوسين. من الخامسة والعشرين حتى التقاعد، يعملون كالمهووسين. من الثامنة عشرة وحتى الخامسة والعشرين، يعون للغاية أنهم يعيشون مرحلة فريدة: وتُمنح لهم كي يزدهروا. حتى مَن نجحوا في الاختبار الرهيب للالتحاق بإحدى الجامعات الإحدى عشرة الجادة يمكنهم أن يلتقطوا أنفاسهم: فالاختيار الأول فحسب هو المهم حقًا. ولسبب أكثر قوة، مَن يترددون على جامعة محطة قطار.

أجلسني رينري فوق جدار صغير وجلس بجانبي.

- انظري، ها منظر جميل على المترو الهوائي. آتي هنا لأحلم وأنا أراقبه.

تأملت بأدب:

- هل توجد محاضرات أحيانًا؟

- نعم. نحضر محاضرات.

- محاضرات عن ماذا؟

- مممممم. من الصعب أن أقول.

قادني إلى قاعة محاضرات مضيئة، يتناثر فيها طلاب مخدرون.

- محاضرة حضارة، انتهى بالإجابة.

- أية حضارة؟

Twitter: @ketab_n

تفكير عميق.

ـ الأمريكية.

ـ كنت أظن أنك تدرس الفرنسية.

ـ نعم. إنها مشوقة، الحضارة الأمريكية.

فهمت أن النقاش يقع خارج كل منطق.

دخل أستاذ في منتصف عمره وصعد على المنصة. لو حاولت أن أتذكر محاضرته، لا أسترجع سوى هذا: كان يتحدث عن أشياء وعن أخرى. كان الطلاب يستمعون له بلا تركيز. بدا أن وجودي يزعج المعلم الذي، في نهاية المحاضرة، اقترب ليقول لي:

ـ لا أتحدث الإنجليزية.

ـ أنا بلجيكية، أجبت.

لم يبد أن هذا طمأنه. بلجيكا، لابد أنها كانت بالنسبة له إحدى الولايات الأمريكية الغامضة التي لا يستحضرها أحدٌ أبدًا، مثل ولاية ميريلاند. وكنت بالتأكيد هنا لمراقبة معلوماته، وهو ما يفسر حذره.

ـ كان هذا مثيرًا للاهتمام، قال لي رينري بعد هذه المحاضرة غير المحددة.

ـ نعم، لديك محاضرة أخرى الآن؟

ـ كلا، أجاب، كما لو كان مذهولاً ومرعوبًا من فكرة أنه يمكننا العمل أكثر.

لاحظت أنه ليس مرتبطًا بأي من شباب الجامعة.

ـ لأنني أراهم لوقت قصير جدًا، علَّق.

Twitter: @ketab_n

تنزهنا أيضًا في الجامعة الجميلة، أراني كل الأماكن التي تطل على منظر لا تحجبه المباني على المترو الهوائي.

هذه النظرة السريعة على دراساته جعلت جدوله الزمني أكثر غموضًا من قبل بالنسبة لي. من مُريب، أصبح مشبوهًا.

في المساء، حين سألته عما فعله خلال اليوم، أجابني أنه كان مشغولاً جدًا. من المستحيل معرفة بمَ انشغل. الأدهى، أنه بدا أنه هو نفسه يجهل ذلك.

حين كف جنون الارتياب عن تلبسي، فهمت أن الأعوام الجامعية كانت أيضًا الوحيدة التي يُسمح خلالها لليابانيين بهذه الرفاهية الرائعة بتبديد أيامهم. كانت حياتهم كتلاميذ تسير وفق جدول زمني ثقيل متضمن الترفيه، وحياتهم كموظفين ستخضع لضغط كبير، لدرجة أن واحة الدراسات الجامعية تكرس بعناية للغامض، والمجهول، بل وحتى للاشيء الفاخر.

Twitter: @ketab_n

كان لديَّ أنا وريتري فيلم مفضل: تامبوبو، لكاتب السيناريو جوزو إيتامي، الذي يحكي عن مغامرات أرملة شابة تبحث، في قاع اليابان، عن وصفة أفضل حساء بالشعرية. إنه أحد الأفلام الأكثر غرابة، الأكثر هزلية والأكثر متعة في الأفلام الموجودة.

شاهدناه معًا عددًا كبيرًا من المرات، وحاولنا كثيرًا إعادة إنتاج بعض المشاهد منه.

كان الذهاب إلى السينما في طوكيو محيرًا. في البداية، لا يختلف ذلك عن التجربة الأوروبية أو الأمريكية. يجلس الناس في صالات فسيحة ومريحة، ويبدأ الحفل، إعلانات عن الأفلام القادمة، إعلانات، يذهب الكثيرون إلى الحمامات، لكن لحجز أماكنهم يتركون حقائبهم بشكل واضح على مقاعدهم. أفترض أنهم لدى عودتهم لا يجدون ينًا واحدًا ناقصًا.

لا أي حياء في اختيارات الأفلام، كانت الأشياء الأكثر فجاجة تتواصل على الشاشات دون تحذير ولا مربع أبيض؛ اليابانيون ليسوا متزمتين. مع ذلك، فحين تظهر امرأة عارية، كانت سحابة

Twitter: @ketab_n

تخبئ شعر عانتها: إن كانت العورة لا تمثل أي مشكلة، فإن الشعر الكثيف مزعج.

كانت ردود أفعال المشاهدين تثير الدهشة. كانت صالةً تعرض فيلم بن هور[1]: بالإضافة إلى شغفي بالأفلام التي تحكي عن العصور القديمة، أضيف إليه الفضول بمشاهدة أحد هذه الأفلام في طوكيو. اصطحبتُ رينري معي. كانت الحوارات بين بن هور ومسالا، المترجمة على الشاشة باليابانية، تفتنني بعد التأمل، لا يقل الحوار باليابانية عبثًا عن الحوار بالإنجليزية. عرض أحد المشاهد ولادة المسيح مع الأنوار الإلهية، في السماء، التي تجتذب الملوك المجوس. خلفي، سمعت عائلة مندهشة تصرخ: - "أوفو.. أوفو". يبدو أن تدخل أجسام طائرة مجهولة في هذا العالم اليهودي - الروماني، لم يربكهم.

اصطحبني رينري لمشاهدة فيلم حرب قديم، تورا تورا تورا[2]. كانت صالة عرض صغيرة غريبة، ولم يكن الجمهور عاديًا. مع ذلك، خلال المشهد الشهير لقصف الجيش الياباني لبيرل هاربر، صفق أغلب المشاهدين. سألتُ رينري لمَ أراد لي أن أشاهد هذا الفيلم.

- إنه أحد أفلام الخيال الأكثر شاعرية التي أعرفها، أجابني بطريقة جدية للغاية.

لم أُصر. لم ينته هذا الشاب من إرباكي.

وصل في نوفمبر - على شاشات السينما في طوكيو - فيلم

(١) فيلم بن هور: حكاية السيد المسيح (١٨٨٠) أكثر أفلام الحركة شعبية من روايات لويس والاس.

(٢) تورا تورا تورا: فيلم حرب أمريكي ياباني (١٩٧٠) يحكي عن الهجوم الياباني على بيرل هابر، خلال الحرب العالمية الثانية.

Twitter: @ketab_n

علاقات خطيرة للإنجليزي ستيفن فريرز. اقتباس أحد المخرجين المفضلين لديَّ لإحدى رواياتي المفضلة كان كفيلاً بشد انتباهي.. لم يقرأ رينري الكتاب، وكان يجهل عمَّ يحكي. ليلة افتتاح الفيلم، كانت صالة العرض ممتلئة. جمهور طوكيو، الذي كثيرًا ما سمعتُه يقهقه خلال الأفلام العنيفة، ظل مُتسمرًا من الرعب أمام ماركيزة مرتوي. من جانبي، من البداية إلى النهاية، كنتُ مبتهجة إلى حد أن أصبح من الصعب عليَّ منع صرخات النشوة. كان جيدًا للغاية.

فيما كنت أترك صالة العرض مفعمةً بالحماس، رأيتُ رينري يبكي. وجهتُ إليه نظرة متسائلة.

- هذه المرأة المسكينة.. هذه المرأة المسكينة..، ردد وهو ينتحب.

- أية امرأة؟

- الطيبة.

وفهمت هذه الظاهرة: قضى رينري كل الفيلم في تقمص شخصية السيدة تورفيل. لم أجرؤ على سؤاله عن السبب: كنتُ خائفةً بشدة من إجابته. حاولت سحبه من تجسيده المجنون.

- لا تُقحم نفسك. هذا الفيلم لا يتحدث عنك. ألم تجده بالغ الجمال؟ جودة التصوير، وهذا الممثل الرائع الذي كان يلعب الدور الرئيسي..

كأني كنت أتبول في شاميزان(*). ردد رينري بتشنج، بين انسياب الدموع، لمدة ساعة:

(*) شاميزان: آلة موسيقية يابانية. والمعنى هو الكلام بلا جدوى، كما نقول "التبول في الرمل" (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

ـ هذه المرأة المسكينة...

لم أره من قبل أبدًا هكذا، ولم أره بعد ذلك بهذه الحالة أبدًا .

"على الأقل، لم يظل لا مباليًا"، قلت لنفسي.

Twitter: @ketab_n

في منتصف شهر ديسمبر، في إحدى عطلات نهاية الأسبوع، سافرتُ بمفردي إلى الجبل. أدرك رينري أن رغبته في مرافقتي في هذه المنطقة - حيث يتعذر الوصول إليَّ - لا يفيد بشيء. مر وقت طويل لم أسافر بدونه، ويناسبني هذا المنظور؛ خاصةً، أنني كنت أحترق شوقًا لتسلق الجبال اليابانية أخيرًا وهي مكسوة بالثلج.

بعد ساعة ونصف بالقطار من طوكيو: نزلت: كانت قرية في عمق واد يبدأ منه صعود جبل كوموتوري ياما قليل الشهرة. جبل بارتفاع أقل من ألفي متر، بدا لي معقولاً، لأول نزهة بمفردي في الجليد. على الخريطة، بدت لي النزهة سهلة المنال للغاية وتبشر بمنظر رائع على جبل فوجي الذي أصبح صديقي.

كان معياري الآخر للاختيار هو الاسم: كوموتوري ياما، يعني "جبل السحاب والعصفور". يتضمن اسم مكان كهذا سلفًا الصورة المطبوعة التي كنتُ أحلم باستكشافها، لاسيما أن اختلاط الحياة في طوكيو يولِّد خيالات نُسُكية يمثل تساميها المتنفس المثالي.

Twitter: @ketab_n

لا يستطيع المرء أبدًا قول ما يكفي ليصف كيف أن اليابان بلد جبلي. ثلثا الأرض غير مأهول لهذا السبب. في أوروبا، الجبال أماكن يرتادها الناس كثيرًا، أحيانا كقاعات كوكتيل، والدليل عدد لا يحصى من محطات التزلج الباذخة. في اليابان، محطات التزلج نادرة جدًا، ولا يقيم في الجبل سكان دائمون؛ فهو مملكة الموت والساحرات. لهذا السبب تظل الإمبراطورية في حالة توحش.

كان لديَّ شعورٌ بالخوف لابد من التغلب عليه بالمغامرة دون مرافق. حين كنتُ طفلة، كانت مربيتي اليابانية المحبوبة تحكي لي قصص يامامابا، الأونيبابا (الساحرات) الأكثر شرًا، التي كانت تعيث فسادًا في الجبال، حيث كانت تمسك المتنزهين بمفردهم لتُعد بهم حساء - حساء المتنزهين بمفردهم، حساء سمك الجريبيدي إذا دعت الضرورة، الذي طارد خيالي كثيرًا لدرجة أنني مقتنعة أنني أعرف مذاقه.

على الخريطة، عثرتُ على مأوى غير بعيد عن القمة، ونويت قضاء الليلة فيه، إلا إذا جعلتني ياماما أقيم داخل قدرها.

تركت القرية في اتجاه الفراغ. كان الدرب يصعد بنعومة في الثلج الذي لاحظت فورًا نقاءه، بسعادة سلطان سخيفة. في صباح يوم السبت هذا، لم يسبقني أحد في هذا التسلق. حتى ارتفاع ألف متر، كانت نزهة ساحرة.

توقفت غابة الصنوبر والأشجار كثيفة الأوراق فجأة، كاشفةً لي عن سماء مليئة بالتحذيرات التي لم أكن أسمعها. انفتح أمامي أحد أكثر المناظر الطبيعية جمالاً في العالم: فوق سفح طويل على شكل تنورة واسعة، غابة خيزران مكسوة بالثلج. عكس لي الصمت صرخة نشوتي كما هي.

Twitter: @ketab_n

لطالما شعرتُ بالشغف تجاه الخيزران، هذا الكائن الهجين الذي لا يصنفه اليابانيون كشجرة ولا نبات، والذي يجمع بين ليونته الرشيقة وأناقة غزارته. لكن لم يصل الخيزران أبدًا، في ذكرياتي، للروعة الغريبة لهذه الغابة المغطاة بالجليد. رغم رهافتها، كان لكل جذع حمولته من الجليد، وأوراقه مُنشّاةٌ من البياض، على غرار الفتيات صغيرات السن اللاتي صعقتهن بعض المهام المقدسة في سن مبكرة.

عبرت الغابة كأني أخطو في عالم آخر. حلت الإثارة محل الزمن، فلا أعرف كم من الوقت تبدد في صعود هذا المنحدر.

حين وصلت إلى نهايته، رأيت، على ارتفاع ثلاثة آلاف متر، قمة كوموتوري ياما. بدا لي قريبًا جدًا، ورغم ذلك كان أبعد من السحابة المثقلة بالثلوج التي كانت تتمرغ على جانبه الأيسر. لم يكن ينقصه سوى عصفور لتبرير اسمه: سأكون ذلك الطائر غير المبالي بالخطر. سرتُ بسرعة نحو تلك القمة التي يسهل الوصول إليها، وأنا أفكر أن ارتفاع ألف وتسعمائة متر جيد للقُبَّرات السمينات، وأنني لن أقلل من شأني أبدًا على هذا النحو.

بالكاد بلغتُ القمة، وإذا بالسحابة، بعد تعرفها على طبيعتي الطائرة، تلحق بي لتحقيق المصير الاشتقاقي لهذا الجبل. كانت السحابة تحتوي على عاصفة، ولم يكن هناك ما يُرى سوى دوامة من نِدَف الثلج. مبهورةً، جلستُ على الأرض لأشاهد المنظر.

كنتُ قد صعدت بسرعة كبيرة، كنت أموت من الحر، وكان رائعًا أن أمنح رأسي العارية لتلك الهبة السماوية المثلجة. لم أر قَط في حياتي تساقطًا قويًا للثلج بذلك الشكل: كان التدفق قويًا ومتواصلاً

Twitter: @ketab_n

لدرجة أنه أصبح من الصعب عليَّ إبقاء عينيَّ مفتوحتين. "إن أردت معرفة سر الجليد، فعليك الملاحظة الآن: أنت في قلب المصنع والمدفع في آن واحد". بدا التجسس الصناعي مستحيلاً: لا شيء أكثر غموضًا مما يحدث أمامك.

لا أعرف إن كانت السحابة قد أُغرمت بي أم بالقمة: لم تبرح مكانها. أدركتُ فجأةً أن شعري مغطًى بالثلج تمامًا كاللحية التي كانت تزين ذقني: لابد أنني كنت أشبه راهبًا عجوزًا.

"سأبيت في المأوى"، فكرت ـ وأدركتُ فورًا أنني لم أر أي مأوًى. لكن الخريطة كانت تشير إليه بخط خفيف. كانت بتاريخ العام الماضي: هل دمرت ياماما با هذا الكوخ منذ ذلك الحين؟ رحلت على الفور للبحث عن المأوى. ضخمت العاصفة الثلجية ما كان يغطي الجبل: لم أستطع الخروج من السحابة. هبطتُ بطريقة حلزونية حول القمة، لأتأكد من عدم تفويت هدفي. بالكاد كنت أرى أطراف يدي الممدودة إلى الأمام. لم تكن السرنمة المتيقظة لتنتهي أبدًا.

اصطدمت أصابعي بشيء صلب: المأوى. "أُنقذت!" صرخت. وأنا أتلمس طريقي حول المنزل الصغير، وجدت بابًا وألقيت بنفسي داخله.

في الداخل، لم يكن هناك أي شيء ولا أي أحد. كانت الأرض والجدران والسقف من الخشب. على الأرض، كانت بطانية قديمة تخفي كوتاتسو(*): ذهلتُ لدى رؤية ذلك الترف، وصرخت صرخة فرح وذهول حين اكتشفت أن هذه المدفأة مشتعلة. رائع.

(*) كوتاتسو: منضدة خشبية منخفضة مغطاة ببطانية ثقيلة، وتحتها مصدر حراري للتدفئة.

Twitter: @ketab_n

يمثل الكوتاتسو نمط حياة أكثر من كونه وسيلة تدفئة: في المنازل التقليدية، تحتل فتحة مربعة ركنًا فسيحًا من غرفة المعيشة، وفي وسط هذا التجويف، مكان الموقد المعدني. يجلس الناس على الأرض، والسيقان متدلية في حمام السباحة الممتلئ بالحرارة، ويحمون حوض الهواء الحار هذا ببطانية كبيرة جدًا.

عرفت يابانيين يكرهون الكوتاتسو: "تقضي الشتاء كاملاً في السجن تحت عباءة مبطنة بالفراء، تصبح أسير هذه الفتحة ووجود الآخرين، وتجبر على تحمل ثرثرات العجائز الحمقاء".

أنا، كان لديَّ كوتاتسو لي بمفردي - بمفردي - مَن الذي يقوم بصيانة هذا الموقد؟

- «مادام الحارس ليس موجودًا، فاستغلي ذلك واخلعي ملابسك»، قلتُ لنفسي. خلعت ملابسي المبللة بالعرق والثلج، وعلقتها حولي كيفما استطعت لتجف. في حقيبة ظهري، كنت قد جلبت بيجامة ارتديتها وأنا أسخر من نفسي: "بيجامة، لماذا لم تحضري ثوب سهرة؟ كان من الأفضل أن أحضر ملابس احتياطية". تناولت طعامي، جالسةً بشكل مريح تحت الكوتاتسو، وأنا أستمع إلى هدير العاصفة بالخارج: كنت مبتهجة بوضعي.

كنت متشوقةً لأن يأتي سيد أو سيدة المكان: حيث تمر أو يمر هنا كل يوم، بلا شك، لتزويد الموقد بالوقود. تخيلتُ الحوار الذي يمكن أن يدور بيني وبين هذا الشخص، المتميز بالضرورة.

ذعرٌ مفاجئ: بول! كان يجب أن أفكر في ذلك من قبل. المرحاض، كان الجبل. كان الخروج في العاصفة، وأنا أرتدي

Twitter: @ketab_n

بيجامة، يعني فقدان ملابسي الجافة الوحيدة؛ ولم أكن لأرتدي ملابسي المبللة مرةً أخرى. لم يكن هناك حل آخر: خلعت البيجامة، أخذت نفسًا عميقًا، وركضت إلى الخارج مثلما نقفز في الفراغ. وقدماي عاريتان في الجليد، جلست القرفصاء عارية، تبولت في خليط من الرعب والنشوة. كان الليل معتمًا فلم يكن يُرى بياض الثلج العاصف في دوامات، كان يُستشعر بالحواس الأخرى: كان له ملمس ومذاق أبيضان، كانت له رائحةٌ بيضاء، كان له صوتٌ أبيض. نشوَى من الألم، عدتُ للمأوى وغصتُ تحت الكوتاتسو، مطمئنةً إلى أن الحارس لم يفاجئني في ذلك الوضع. حين جففت المدفأة بشرتي، ارتديت البيجامة مرةً أخرى.

استلقيتُ تحت البطانية، وحاولت أن أنام. تدريجيًا، لاحظت أنه، بعد الامتحان الرياضي الطويل الذي قمت به في الخارج، لم أعد قادرة على تسخين جسدي. حاولت أن ألتف في الغطاء، وأن أقترب- قدر المستطاع- من المدفأة بلا جدوى؛ كنت أرتجف من البرد. اخترقتني عضة العاصفة بعمق شديد لدرجة أنني لم أستطع إبعاد هذه الأسنان الجليدية عن جسدي.

انتهيت إلى اقتراف حماقة، لكن لم يكن لديَّ خيَار: بين الحروق بالدرجة الثانية أو الثالثة والموت، اخترت الاحتراق. التففت على المدفأة، على المعدن المتوقد، ببيجامة وقطَع من البطانية للحماية فحسب. لاحظتُ حينها خطورة المشكلة: ببساطة لم أشعر بأي شيء. لم يكن جلدي يدرك ما يشويه.

مع ذلك، بأطراف الأصابع، كان يمكنني التحقق من العمل الجيد للموقد: كان لا يزال بالأنامل فحسب نهاية عصبية. كنتُ جثةً تعيش

Twitter: @ketab_n

فقط في نهاية الأنامل وفي مخها، الذي أطلق إشارة إنذار بلا فاعلية.

ليتني ارتعشت! كان جسدي ميتًا لدرجة أنه كان يرفض هذه الحركة اللا إرادية الصحية. ظلِ من الرصاص المجمد. من حسن الحظ، كان يتألم: وصل بي الأمر إلى مباركة هذا الألم الذي كان يمثل الإثبات القاطع لانتمائي إلى عالم الأحياء. كانت هذه الضحية مريبة لأنها عكست الأحاسيس: كانت المدفأة تحرقني من البرد. لكن هذا أفضل من اللحظة المروعة والوشيكة التي لن أشعر فيها بشيء.

وأنا التي كنت أخشى قِدر يامامابا! لقد قلَّلتُ مريبتي، في الماضي، من قسوة ساحرة الجبل. فلم تكن تحول المتنزهين بمفردهم إلى حساء، إنما تجمدهم ـ ربما لاستخدامهم في إعداد حساء في المستقبل. جعلتني هذه الفكرة أضحك، وأعاد رد الفعل العصبي هذا بعث باقي جسدي. شعرت أخيرًا بمنعكس صحي: القشعريرة. أخذ جسدي يرتجف مثل آلة.

لم يخِفّ العذاب: معرفة أنني سأنجو منه أطال الليلة، التي دامت عشرة أعوام. كبرتُ قرنًا: متشبثةً بالمدفأة التي لم أكن أشعر بحرقها لي، قضيتُ هذه الساعات اللانهائية في الاستماع: في البداية، الاستماع إلى العاصفة الثلجيةِ التي هاجمت بضراوة الجبل لمدة طويلة وتركتِ، بعد رحيلها، صمتًا بكثافة مقلقة.

ثم الاستماع، بالأمل الأكثر حيوانية في العالم، إلى قدوم هذه المعجزة المعروفة باسم الصباح ـ كم تأخر في المجيء!

Twitter: @ketab_n

كان لديَّ الوقت لأقْسم هذا القسم الداخلي: "كل مرة تنعمين فيها بالنوم على سرير، مهما كان متواضعًا، باركيه وابكي من الفرحة!" حتى اليوم، لم أحنث بقسمي المهيب لهذا الكلام.

بينما كنت أترصد بدايات الفجر، بدا لي أنني أسمع وقع خطوات في المأوى: لم تكن لديَّ شجاعة إخراج أنفي من الكوتاتسو، لم أتمكن أبدًا من التأكد إن كانت هذه الضوضاء تأتي من خيالي المضطرب من البرد، أم من وجود حقيقي. كان خوفي شديدًا لدرجة أنني كنت أرتعش بعنف أكبر.

كان من غير المحتمل أن يكون حيوانًا: كانت هذه الخطى تصدر صوتًا آدميًا. إن كان هناك أحد، فلابد أنه أخذ يتأمل ملابسي المبعثرة، وعلم أنني تحت الكوتاتسو. كان يمكنني أن أقول شيئًا لأشير إلى أنني لست نائمة، لكنني لم أجد الكلمات المناسبة: كان الهلع يشل قدراتي.

اختفى ذلك الصوت الذي ربما لم يكن موجودًا على الإطلاق.. فجأةً، وأنا أحبس أنفاسي، سمعتُ بالخارج ذلك الصمت العميق، ذلك النَّفَس المقدس للكون الذي يشير للفجر.

بلا أدنى تردد، خرجتُ فجأةً من الكوتاتسو: لم يكن هناك أحد، ولا أثر لأي شخص. كانت تنتظرني مفاجأة سيئة: كانت ملابسي المعلقة قد تجمدت. هذا للحديث عن درجة الحرارة التي كانت تسود داخل المأوى. دفعتُ قدميَّ في ساقَي السروال كما يُشق ممر في الجليد. كان لقاء ظهري بالقميص المكسو بالصقيع هي اللحظة الأسوأ. لحسن الحظ، لم يكن لديَّ الوقت لتحليل هذه المشاعر. كان الرحيل مسألة حياة أو موت: كان لابد من إبعاد ذلك البرد الذي لم يكف عن التهامي بطريقة أعمق.

Twitter: @ketab_n

لن يمكنني أبدًا التعبير عن الصدمة التي شعرت بها لدى فتح الباب: كان مثلما يهدم المرء قبره ليخرج إلى المجهول. ظللتُ بضع لحظات متسمرةً أمام هذا العالم المجهول: العاصفة، التي أخفته عني ليلة أمس، كانت قد ابتلعته تحت أمتار من البياض الجديد. سمعتُ بشكل صحيح: كان الفجر يتمتم بالنهار. ولا نسمة هواء، ولا صرخة طائر كاسر، لا شيء سوى الصمت الجليدي، ولا أثر لخطى على الجليد: زائري الليلي، إن كان موجودًا، لما كان سوى ياماماباً، أتت لتتأكد إن كان فخها لاصطياد المتنزهين بمفردهم قد نجح وتُقيِّم الوضع، بالنظر للملابس المعلَّقة، وطبيعة الصيد. أنا مدينة له بالمعروف: فبدون الكوتاتسو، لما نجوت. لكني - إن أردتُ البقاء على قيد الحياة لوقت أطول - فلا ينبغي الانتظار: الساعة الخامسة وعشر دقائق صباحًا.

انطلقتُ بسرعة في الطبيعة. يا لروعة الركض! فضاء متحرر من كل شيء. ما مِن عذاب لا يقاوم بعثرة النَّفَس في الكون. أيكون العالم بهذا الاتساع بلا سبب؟ تقول اللغة بشكل صائب: الفرار فورًا، إنقاذ النفس هو الهروب. إن مت، فلترحل. إن كنت تتعذب، فتحرك. ما مِن قانون آخر سوى الحركة.

كان الليل قد حبسني عند ياماماباً، فحررني ضوء النهار معيدًا لي الجغرافيا. كنت أبتهج: كلاً، ياماماباً، لا أملك روح الحساء، أنا من الأحياء وأبرهن على ذلك، أعدو، لن تعرفي أبدًا كم مذاقي سيئ. كان أرقي أبيض مثل الثلج المحيط، لكن لديَّ الطاقة المذهلة للناجين، وأركض في الجبل الأجمل من أن أقبل بالموت فيه. كل مرة أصل لقمة منحدر، أكتشف عالمًا رائعًا وبكرًا لدرجة مخيفة.

Twitter: @ketab_n

خوف، نعم. قضيتُ وقتًا طويلاً وأنا هاربة، فيُفترض أنني سأتعرف على منظر طبيعي رأيته الليلة الماضية، لكن ذلك لم يحدث. فهل غيرت العاصفة الكون تمامًا؟ تناولت الخريطة، وعلّمت على المعلَم: الجبل فوجي. إنه بعيدٌ عن هنا، لكن ما إن يصبح مرئيًا فسأكون على الطريق الصحيح. في هذه الأثناء، وجدت أخيرًا المكان الياباني الذي لا يُرى منه الجبل فوجي: حيث أنا موجودة. لنركض نحو مكان آخر.

تُهت. أثملني التيه، ركضت بسرعة أكبر. ياماما با، لقد خدعتك، لم يأت أي إنسي إلى هذا المكان الذي أقف فيه. أتباهى لأخفي ذعري. هذه الليلة نجوت من الموت، وها هو يلحق بي. كُتب عليَّ أن أموت في الثانية والعشرين من عمري في الجبال اليابانية. فهل سيجدون جثتي؟

لا أريد أن أموت، أركض. كيف يمكن للمرء أن يركض كل هذه المسافة؟ العاشرة صباحًا. السماء بمطلق الأزرق، لا ظل لسحابة. إنه يوم أجمل من أموت به. أنقذ زرادشت نفسه. ساقاي كبيرتان لدرجة أنهما ستأكلان القمم، ليس لديكم فكرة عن شهيتهما.

لكنني أركض ولم أجد شيئًا. كل مرة أصل فيها إلى أعلى المنحدر، أبتهل أن أرى جبل فوجي، أناديه كما ينادَى الصديق المقرَّب، تذكر، يا صديقي القديم، لقد نمتُ على حافة فوهتك، صرخت لتحية شروق الشمس، أنا منك، أتوسل إليك، اعترف بذلك، تعرَّف عليَّ، أنا من أتباعك، انتظرني على قمة هذا المنحدر، سأتبرأ من كل الريبات فلا أؤمن إلا بك، كن هنا، أنا تائهة، يكفي أن تظهر وسأنجو، سأصل للقمة، أنت لست هنا.

Twitter: @ketab_n

لا أزل أركض، وقـد أصـبـحت طاقـتـي طاقـة اليـأس. يقـتـرب منتصف النهار. تائهةً منذ سبع ساعات تقريبًا وأفاقم من حالتي. تدور آلتي في الفراغ، سيحل الليل ويغرقني في ثلجه الأسود. هذه نهـاية ركـضي على هذه الأرض. لا أريد أن أؤمن بهـذا. لا يمكن للزرادشتية أن تموت، هذا لم يحدث من قبل.

منحَدرٌ جديد. لم أعد أؤمن بذلك، صعدته رغم هذا. ليس لديَّ ما أخسره، أنا تائهةٌ بالفعل. تسلقت ساقاي اللتان لم يعد لديهما طاقة الجوع. وكل خطوة تكلف غاليًا. ها هو خط القمة، خيبة أمل جديدة، بلا أدنى شك. أركض الأمتار الأخيرة.

جبل فوجي هنا، أمامي. أسقط على ركبتيَّ. لا أحد يعلم كم هو ضـخم. وجدت المكان الذي نراه منه كـامـلاً. أصـرخ، أبكي، كم أنت ضخم، أنت من تبشرني بالحياة! يا لك من جميل!

دمَّـر الخـلاص أحشائي، نزعت ردائي وفرغت. يا جبل فوجي، أترك لك هنا دليـلاً لا يفني على أنك لا تتـعـامل مع لا مـبـاليـة. ضحكت من السعادة.

منتصف النهار تمامًا. نظرتُ إلى خط القمة، ليس عليَّ سوى أن أتبعه، قدرت عيني ست ساعات من السير حتى الوادي. لا يمثل ذلك شيئًا عندما تعلم أنك ستعيش.

أركض على طول خط القـمـة. لست سـاعـات من الشـمس ولون السـمـاء الأزرق، سـأحظى بجـبل فـوجي لنفسي فـحـسب. تلك

Twitter: @ketab_n

الساعات الست ليست كافية لاحتواء نشوتي. الإثارة تحل محل الوقود: لا يوجد ما هو أفضل من ذلك. لم يركض زرادشت بهذه السرعة وبهذا القدر من النشوة. أخاطب جبل فوجي برفع الكُلفة. أرقص على القمة. إنه مهيب، أتمنى الا يتوقف هذا أبدًا.

هذه الساعات الست هي الأجمل في حياتي. أمشي فرحى. أعرف لماذا تُسمَّى موسيقى النصر بـ"مارش". يملأ جبل فوجي السماء، إنه يكفي للجميع، لكنه لي وحدي تمامًا، الغائبون مخطئون دائمًا. لا أحد يعلم كم أن جبل فوجي عظيم ورائع كما أعرف أنا. وهو أمر لا يمنعه من أن يكون ألطف رفيق درب. إنه الحميم. زرادشت ليس تعيسًا.

ها هو الوادي والفجر. تمت العودة بسرعة شديدة كما أردت. أنحني إجلالاً أمام صديقي الحميم، وأقفز في الوادي الواسع حيث لم نعد نراه. أفتقده بالفعل. أهبط بأقصى سرعة بسرعة الضوء المتلاشي.

لم أجد أبدًا أيًا من مناظر أمس الطبيعية. لابد أنني تهت كثيرًا. وصلت إلى القرية بحلول الظلام.

قادني قطارٌ إلى طوكيو. مذهولة، أنظر إلى البشر من حولي. لا يبدو أنهم مصدومون من مظهري. استنتجتُ أن ملحمتي لا تظهَر على وجهي. بالمحطة، استقللتُ المترو. إنها العاشرة مساءً، ليلة الأحد، العالم عادي بشكل لا يُصدَّق. وأنا، بكل معنى الكلمة، مندهشة.

Twitter: @ketab_n

نزلتُ في محطتي. بمنزلي، ثمة مدفأة، فراش وحمام: ساردانابال(*). ليس ابن عمي. يدق جرس الهاتف بلا توقف. على الخط، كائنٌ حي يتحدث معي.

- من أنت؟ قلت.

- أخيرًا، إميلي، إنه أنا، رينري. ألم تعودي تعرفين صوتي؟

لا أجرؤ على إجابته بأنني نسيت وجوده حتى.

- تأخرتِ في العودة، فشعرتُ بالقلق.

- سأحكي لك. أنا متعبة جدًا.

بينما كان حوض الاستحمام يمتلئ، نظرتُ إلى نفسي بالمرآة. من قدمي حتى رأسي، لوني رمادي داكن. لا أثر احتراق من الموقد. الجسد اختراعٌ مقدس. أدخل بحوض الاستحمام الساخن، وفجأةً، بصق جسدي البرد الذي كان به. أبكي من الراحة واليأس. يعلم الناجون أننا لن نفهمهم أبدًا. حالتي أسوأ حتى: لقد نجوتُ من شيء جميل جدًا وكبير جدًا. أود أن يكون الناس على علم بهذا السمو. أعلم مسبقًا أنني لن أستطيع أن أشرح لهم.

آوي إلى الفراش. أصرخ: هذا الفراش فَخ. الراحة إلى هذا الحد تسبب لي صدمة. أفكر في المرأة العاجزة الملتفة حول الموقد: تاريخيًا وجغرافيًا، يفصلني عنها مرمَى حجر. من الآن فصاعدًا،

(*) بطل مسرحية "ساردانابالوس" للشاعر الإنجليزي الشهير بايرون. وللفنان الفرنسي أوجين ديلاكروا لوحة معروفة بعنوان "موت ساردانابال". وهو آخر الملوك الآشوريين العظام (٦٦٩-٦٢٧ ق.م)؛ المترجمة.

Twitter: @ketab_n

من بين العديد من الآخرين الذين يسكنونني، ستكون هناك امرأة الجبل العاجزة. سيكون هناك أيضًا زرادشت راقصًا مع جبل فوجي على الحافة. سأكون دائمًا كل هؤلاء، بالإضافة لما كنت عليه.

لم تتم هوياتي المتعددة منذ أمد طويل، بل لم تتم أبدًا. يبتلعني النعاس الذي يوحدها داخلي.

Twitter: @ketab_n

ما هو فظيعٌ بعد هذا النوع من المغامرة، هو أن الحياة تستمر. في اليوم التالي، بالصف الدراسي، أردتُ أن أحكي. لكن الطلاب كانوا لا يبالون، لا يفكرون سوى بالعطلة التي تقترب: أسبوع فقط ويسافرون إلى هاواي.

كانت المرسيدس البيضاء تنتظرني أمام باب الخروج.

ـ لو علمتَ ما حدث لي!

ـ سنأكل مكرونة صينية؟ أنا أتضور جوعًا.

أمام طبقي، حاولتُ باستماتة الكلام عن غابة الخيزران المثلجة، العاصفة، الليلة عند يامامابا، الساعات التي ركضت بها وأنا تائهة في الجبل، لقائي بجبل فوجي وجهًا لوجه ـ بهذه اللحظة، انفجر رينري ضاحكًا لأنني فتحت ذراعيَّ إلى الحد الأقصى لأريه أبعاد البركان. هناك استحالة تقنية للحكي عن المهيب. سيان ألا نثير الاهتمام، أو نثير الضحك.

أمسك رينري بيدي.

ـ أتقضين عيد الميلاد معي؟ سألني.

ـ حسنًا

Twitter: @ketab_n

- من ٢٣ إلى ٢٦ سآخذك في رحلة.

- إلى أين سنذهب؟

- سترين. هاتي ملابس ثقيلة. كلاً، لن نذهب إلى الجبل، اطمئني.

- هل هذا مهم بالنسبة لك، عيد الميلاد؟

- كلاً، لكن الآن، نعم، لأنني سأكون معك.

الأسبوع الأخير من الحصص الدراسية. قريبًا لن أنتمي لشريحة الطلاب. اجتزت الاختبارات. ببداية العام المقبل، سألتحق بواحدة من أكبر الشركات اليابانية. بدا المستقبل جيدًا.

سألتني طالبة كندية إن كنت سأتزوج رينري.

- لا أعرف شيئًا.

- احذري. تؤدي هذه الزيجات إلى أطفال بشعين.

- ما الذي تقولينه؟ الأوراسيون رائعون.

- لكنهم بغيضون. لديّ صديقة تزوجت من ياباني. لديهما طفلان، ست وأربع سنوات. يسمون أمهم "بيبي"(*) وأبيهم "كاكا".

انفجرت ضاحكة.

- ربما لديهم أسبابهم، قلت.

- كيف يمكنك أن تضحكي على هذا؟ وإن حدث لك؟

- لا أعتقد أنني سأرزق بأطفال.

(*) "بيبي" و"كاكا" هما - باللغة الفرنسية - البول والبراز.

Twitter: @ketab_n

ـ آه. لماذا؟ هذا أمر غير طبيعي.

غادرت وأنا أدندن بداخلي أغنية براسانس: "كلا، الشجعان لا يحبون سوى ـ أن نتبع طريقًا مختلفًا عن طريقهم".

صباح ٢٣ ديسمبر، كانت المرسيدس البيضاء تنتظر تحت سماء رمادية داكنة. كان الطريق طويلاً، قبيحًا ومحبطًا، لأن اليابان بلد عادي أيضًا.

ـ أعلم أنني سأرى، لكن إلى أين نحن ذاهبان؟

ـ أيًا ما كان المنظر الطبيعي، فلن تصابي بخيبة الأمل.

"كم من الطرق قطعناها منذ أورر" فكرت. بلا شك لن نكون فرنسيين جيدين دون القيام بالحد الأدنى من التضحيات.

فجأةً، البحر.

ـ بحر اليابان، قال رينري باحتفاء.

ـ التقيتُ به بالفعل حين كنت صغيرة، في توتوري. كدتُ أن أغرق.

ـ أنت على قيد الحياة، قال الفتى مختتمًا حديثه ليغفر للبحر المقدس.

أوقف السيارة في ميناء نيجاتا.

سنأخذ القارب إلى جزيرة سادو.

كنت أقفز من الفرح. حلمت دائمًا برؤية هذه الجزيرة الشهيرة بجمالها ووحشيتها. من صندوق السيارة، سحب رينري حقيبةً كبيرة مثل حقيبة سفر. بدا لي المعبر باردًا وبلا نهاية.

ـ بحر اليابان هو بحر رجولي، قال رينري.

Twitter: @ketab_n

كان كلامًا سمعتُه بالفعل عدة مرات من أفواه اليابانيين ولم أعلق عليه أبدًا، كانت الحيرة التي أغرقتني فيها عميقة جدًا. كان خيالي البدائي يبحث عن شَعر لحية مع انكسار الموجات على الشاطئ.

رسا المركب على الجزيرة، حيث الميناء البدائي يتناقض مع ميناء نيجاتا. حافلة من الستينيات تقودنا حتى نُزل قديم وواسع، على بعد نصف ساعة من هنا. يقع هذا النزل الياباني وسط الجزيرة: كنا نسمع البحر بأكثر مما نميزه. حوله، لا شيء سوى طبيعة عذراء تقريبا.

بدأ الثلج يتساقط. تهللتُ واقترحت القيام بنزهة.

- غدًا، أجاب رينري. إنها الرابعة مساءً، أرهقني الطريق.

كان يريد الاستمتاع بترف النزل بالتأكيد، لم أستطع أن ألومه. كانت رائحة الحصير الجديد تفوح من الغرف التقليدية الرائعة، وبكل غرفة حوض استحمام ذو وزن ضخم، يمتلئ باستمرار من خلال خيزران يفرغ فيه ماءً شديد السخونة. لتجنب الفيضان، كان الحجر الخام لحوض الاستحمام مثقوبًا، وتحته رسم كومة قش محترقة للدلالة على العدم.

- ما وراء الطبيعة! هتفت.

بعد أن استحممنا بالصابون واغتسلنا في الحوض وفقًا للطقوس، استلقينا أنا ورينري بحوض الاستحمام الرائع هذا بنية عدم الخروج منه أبدًا.

- يبدو أن هناك أيضًا مغطسًا يابانيًا أكثر شهرة حتى بالمناطق العامة بالفندق، قال.

Twitter: @ketab_n

ـ لا يمكن أن يكون أفضل من مغطس الغرفة، أجبت.

ـ أنت مخطئة. إنه أكبر من هذا المغطس بعشرة أضعاف، مزود بشبكة خيزران وتحت سماء مفتوحة.

غلبتني الحجة الأخيرة. أصررتُ على أن نذهب إليه. لم يكن هناك أحد: سعيدة أكثر لأن هذا، لحسن حظنا، لم يكن يفصل بين الجنسين، وفقًا للعرف القديم.

أن تكون عاريًا بحوض استحمام ساخن تحت ندَف الثلج: أطلقت صرخات نشوة. استمتاع بتلقي بلورات مثلجة على رأسي في حمام البخار.

بعد نصف ساعة، خرج رينري من المغطس وارتدى الكيمونو الصيفي الخاص به.

ـ بهذه السرعة؟ قلت وأنا منزعجة.

ـ ليس جيدًا للصحة أن تبقي به لفترة طويلة جدًا، تعالي.

ـ مستحيل. سأبقى.

ـ كما تشائين. سأعود للغرفة. لا تتأخري.

مسرورة لبقائي بمفردي، تمددتُ على سطح الماء، لكي يعيش كل جسمي اللحظة الخارقة بلقاء العنصر المجمد: كان من الرائع أن أقذف بالثلج، وخاصةً حين ينقع ظهري بماء شديد السخونة.

للأسف، لم تدم وحدتي: جاء رجل عجوز من إدارة الفندق لكنس حواف المغطس. طويت فورًا عُريي تحت الماء، الذي هيجتُه وأنا ألوّح بذراعيَّ وساقيَّ كي أصنع منه ملابس.

Twitter: @ketab_n

صغيرًا ونحيلاً كشُجيرة، بدا الثمانيني كأنه لم يترك أبدًا الجزيرة. بمكنسته ذات الأغصان، كان ينظف حواف المغطس بضمير. وجهه الهادئ طمأنني. لكنه حين انتهى من كنس كل شيء، بدأ من جديد. من ناحية أخرى، ألم يكن مريبًا أنه انتظر رحيل رينري ليقوم بهذه المهمة؟

لاحظت أن العجوز ينفض الندف التي تستقر تدريجيًا حول المغطس. غير أن الثلج سيتساقط طويلاً بالتأكيد: لم نكن قد خرجنا من النزل. في الواقع، لم أتمكن من الخروج من الماء وهو هناك؛ بين اللحظة التي سأنبثق منها من الماء واللحظة التي سأمسك بها الكيمونو الخاص بي، ستكون هناك لحظة أكون فيها عارية تمامًا.

طبعًا، لم يكن يشكل أي خطر بالنسبة لي. فبملابسه، لابد أن ساكن الجزيرة العجوز يزن خمسة وأربعين كيلو، ويجعله عمره أقل خطورة. هذا لا يعني أن الموقف كان أقل إزعاجًا. تعبت ذراعاي وساقاي. لم يكن عملها مرضيًا، ولم تعد كثافة المغطس مضمونة. كأن شيئًا لم يكن، لابد أن الكهل وجد المشهد مثيرًا للغاية.

قررتُ أن أسكته بمخاطبته فجأة. أشرت بذقني نحو مكنسته وقلت له بجفاء:

- إيراناي!

الذي يعني باللغة العامية: "ليس ضروريًا!"

قال إنه لا يفهم الإنجليزية. أثبت هذا الجواب سوء نية هذا الشخص، ولم أعد أشك في انحرافه.

Twitter: @ketab_n

مع ذلك لم أكن قد وصلت بعد إلى الحضيض، وصلت إلى الأسوأ حين شعرت بعلامات تنذر بالإغماء. كان رينري محقًا، لم يكن يجب أن أبقى طويلاً بهذا الماء المالح الحارق. بلا وعي، فقدتُ كل قوتي. رأيت اللحظة التي كان سيغمي فيها عليَّ بالفعل، والتي يمكن خلالها للعجوز، بحجة إنقاذي، أن يفعل بي ما يشاء. حالة ذعر.

بالإضافة لذلك، فهي مرحلة فظيعة تلك التي تسبق الإغماء. كأن عشرة ملايين نملة غزت جوف الجسد وحولت الأحشاء إلى غثيان. يرافق هذا ضعف بلا اسم. إميلي، اخرجي من هنا حين يمكنك ذلك، وهذا يعني فورًا. سيراك عارية، هذا مؤسف، لكن الأمر يمكن أن يكون أسوأ بكثير.

رأي الكناس العجوز انبثاق عمود ماء أبيض ارتمى فوق الكيمونو، التفتُ فيه وتركتُ المكان ركضًا. عدوت بكل قواي حتى الغرفة، حيث رآني رينري أتعثر ثم أنهار على الأريكة. أتذكر أنه في اللحظة التي سمحت بها لنفسي بالإغماء، نظرت بشكل غريزي نحو الساعة واستطعت أن أقرأ ١٨:٤٦ . ثم غرقت في بئر بلا قاع.

كنتُ أسافر. كنت أستكشف بلاط كيوتو بالقرن السابع عشر. موكب من أرستقراطيين من الجنسين، يرتدون كيمونو بنفسجيًا فخمًا، يزين التلال. انفصلت سيدة ترتدي كيمونو المحظيات عن الموكب، ربما كانت السيدة مورازاكي التي كانت تغني، برفقة آلة الكوتو(*)، قصيدة لمجد ليالي مدينة ناجاساكي، بلا شك لثراء القافية.

(*) الكوتو: نوع من الآلات الموسيقية الوترية.

Twitter: @ketab_n

امتدت هذه الأنشطة لعدة عقود. أتيح لي الوقت لأستقر بهذا الماضي الياباني، حيث كنت أمارس مهنة متذوقة الساكي التي أُحسد عليها. ساقية خمر في كيوتو، كان وضعًا لا أفكر بتركه حين تم استيقافي بوحشية في ٢٣ ديسمبر ١٩٨٩ . كانت الساعة تشير إلى ١٠:١٩ . كيف تمكنتُ من عيش كل هذا في أربع وعشرين دقيقة؟

احترم رينري إغمائي. جالسًا بالقرب مني، سألني عما حدث. حدثته عن القرن السابع عشر: سمعني بأدب ثم قال:

- نعم، لكن قبل هذا؟

تذكرت، وبنبرة أقل شاعرية، حكيت له عن العجوز المنحرف الذي جاء لمشاهدة العارية البيضاء بذريعة الكَنس.

صفق رينري وانفجر ضاحكًا:

- أعشق هذه القصة! ستحكينها لي كثيرًا.

أربكني رد الفعل هذا. إن كنت أملتُ في القليل من الغضب، فقد خاب أملي: رينري، سعيدًا جدًا، كان يحاكي المشهد، يصل مطويًا لنصفين كحطام قديم وهو يمسك بمكنسة وهمية، ملقيًا نظرات مريبة نحو المغطس؛ ثم قلدني بإيماءات قائلا "إيراناي"، ثم أجاب بصوت مرتعش بأنه لا يفهم الإنجليزية، كل هذا وهو يمزح. قاطعتُه بتعليق:

- اسم الجزيرة على مُسمى.

تضاعف ضحكه. كان التلاعب بالألفاظ أفضل حتى باللغة

Twitter: @ketab_n

اليابانية، حيث كان اسم الماركيز المقدس يُنطق "سادو"[1].

كان هناك طَرق على الباب.

ـ هل أنتِ مستعدة للوليمة؟ سأل رينري.

وانزلق الباب الجرَّار ووضعت ريفيتان ساحرتان موائد منخفضة غطتاها بأطباق رقيقة.

أمام هذا الكايسيكي[2] لم أعد أفكر مطلقًا في العجوز السافل وتقدمت إلى المائدة. تم تقديم عدة أنواع من الساكي: استنتجت أن الحلم الذي رأيته أثناء إغمائي كان له طابع منذر، وانتظرت ما سيأتي بفضول.

في صباح اليوم التالي، كانت جزيرة سادو بيضاء من الثلج.

اصطحبني رينري إلى شاطئ في أقصى الشمال.

ـ هل ترين هناك؟ قال مشيرًا إلى أفق البحر. يعتقدون أنها فلاديفوستوك[3].

أُعجبت بخياله. لكنه كان محقًا: الأرض الوحيدة التي يمكن تصورها خلف هذه الغيوم الحبيسة هي سيبيريا.

ـ هل نقوم بالجولة على الأقدام؟ اقترحت.

ـ أنت لا تدركين: ستكون طويلة جدًا.

ـ هيا بنا، من النادر جدًا رؤية شاطئ مغطًى بالثلوج.

ـ ليس في اليابان.

---

(١) تلاعب بالألفاظ مع اسم الماركيز الفرنسي الشهير "دي ساد"، مكتشف "السادية".

(٢) كايسيكي: نوع من وجبات الطعام التقليدي الياباني.

(٣) فلاديفوستوك: إحدى مدن روسيا.

Twitter: @ketab_n

بعد أربع ساعات من السير مع نسيم البحر، الذي تحول إلى قطع ثلج متنقلة، انسحبت.

- هذا توقيتٌ جيد، قال رينري. لإكمال الجزيرة، كان لا يزال أمامنا عشر ساعات، دون احتساب العودة حتى النُّزُل الذي يقع وسط سادُو.

- أقترح أن نسلك الطريق الأقصر، همست من بين شفتيَّ الزرقاوين.

- في هذه الحالة، سنكون في غرفتنا خلال ساعتين.

بدت الأراضي في الداخل مدهشةً وأجمل من الساحل. قمة الحدث الأكثر جلبا للانتباه، كانت البساتين الضخمة من الكاكي المكسوة بالثلج: بغرابة الطبيعة، أشجار الكاكي، التي تفقد أوراقها في الشتاء مثل كل الأشجار المثمرة، لا تفقد أبدًا ثمارها، حتى إن تجاوزت مرحلة النضج. في الحالات القصوى، تحمل الأشجار الحية ثمارها الميتة، مذكِّرة بـ"الإنزال عن الصليب". لكن لم يكن وقت الجثث، وحصلت على أشجار أعياد الميلاد الأكثر روعة: أشجار الكاكي السوداء والعارية تلك، محملةً بالكاكي الناضج وفق المراد، شكَّل الثلج تاجًا مضيئًا فوق لونها البرتقالي..

شجرةٌ واحدةٌ مزينةٌ على هذا النحو كانت كافية لتثيرني. رأيت منها جيوشًا، راسخةً في المراعي المهجورة: كان رأسي يدور من الإعجاب والرغبة الشديدة، لأن الكاكي الناضج أسعدني. للأسف، قفزتُ كثيرًا بلا جدوى، لم أمسك بأية واحدة.

"سحرٌ للعيون، فكرت. لا يجب دائمًا أن نريد أكل كل شيء". لم تقنعني هذه الحجة الأخيرة.

- تعالي، قال رينري، نموت من البرد.

Twitter: @ketab_n

كان متغيبًا عن النُّزُل. استحممت سريعًا وانهرت على الفراش. نائمةً، لم أره حين عاد. حين أيقظني، كانت السابعة مساءً. لم تتأخر السيدات في إحضار الوليمة لنا.

كان هناك حادث غذائي. أحضرن أخطبوطات صغيرة حية. كنت أعرف المبدأ، وقمت بهذه التجربة غير السارة من قبل: يتعلق الأمر بأكل أسماك أو فواكه بحرية بلحظة قتلها أمامنا، لضمان أنها طازجة. لم أعد أحصي عدد شرائح الشبُّوط التي كانت لا تزال ترتجف حين تلقيتها بفمي، فيما مالك مطعم ينظر لي مبتهجًا قائلاً: "إنه حي، أليس كذلك؟ هل تشعرين بطعم الحياة؟" لم أعتقد أبدًا أن هذا المذاق يستحق هذه الممارسة البربرية.

حين رأيتُ هذه الأخطبوطات، شعرت بأسف مضاعف: أولاً لأنه لا يوجد ما هو ساحر أكثر من هذه المخلوقات الصغيرة ذات المجسات، ثم لأنني لم أحب أبدًا الأخطبوط النيئ. لكن كان من غير التهذيب رفض أحد الأطباق.

أبعدتُ نظري لحظة الجريمة. وضعت إحدي السيدات أول ضحية في طبقي. هذا الأخطبوط الصغير والجميل مثل الخزامي حطم قلبي. "امضغي بسرعة، ابتلعي ثم قولي إنك لست جائعة"، فكرت.

دفعته في فمي وحاولت أن أغرس به أسناني. حينها حدث شيء بشع: أعصاب الأخطبوط التي لا تزال حية أمرته أن يقاوم، وأمسكت الجثة المنتقمة بلساني بكل مجساتها.

- كُفّ عن عض لساني. صرخت بقدر ما يمكنني أن أصرخ حين يبتلع أخطبوطٌ اللسان. أخرجت لساني حتى أظهر ما كان يحدث لي. انفجرت السيدتان بالضحك. حاولت فصل الحيوان بيدي:

Twitter: @ketab_n

مستحيل. كانت المجسات ملتصقة بشكل وثيق. تخيلت اللحظة التي سأنتزع فيها لساني.

مرعوبةً، كان رينري ينظر لي بلا حراك. على الأقل، شعرت أن هناك شخصًا ما يفهمني. تأوهتُ من الأنف على أمل أن تتوقف السيدتان عن الضحك. بدا أن إحدى السيدتين اعتقدت أن المزحة استمرت بما يكفي، وجاءت لتضع عودًا بمكان محدد بالمعتدي عليَّ الذي ترك لساني فورًا. لو كان الأمر بهذه البساطة، فلماذا لم تنقذني بشكل أسرع؟ تأملتُ في طبقي الأخطبوط المبصوق، وفكرت أن هذه الجزيرة تستحق اسمها بالتأكيد.

حين فرغت السيدتان من تنظيف المائدة، سألني رينري إن كنت هدأت. أجبت ضاحكةً أنها كانت أمسية عيد ميلاد مدهشة.

- لديَّ هدية لك، قال.

وأحضر لي وشاحًا ثقيلاً وضخمًا من الحرير الأخضر اليشم.

- ما الذي يوجد بكيس الهدية هذا؟

- افتحيه.

فردتُ الوشاح التقليدي، ووجدت جميلاً ذلك التقليد بمنح الهدايا بهذه الطريقة، وأطلقت صرخة: كان كيس هدية ممتلئًا بالكاكي الذي منحه الشتاء مظهر أحجار كريمة عملاقة.

- كيف فعلت هذا؟

- بينما كنت نائمة، عدت لذلك البستان وتسلقت الأشجار.

قفزت على رقبته: وأنا التي كنت أعتقد أنه يختفي لأسباب تتعلق بالمافيا!

Twitter: @ketab_n

ـ أيمكنك أن تتناوليها، من فضلك؟

لم أفهم أبدًا لمَ كان يحب إلى هذا الحد أن يراقبني وأنا آكل، لكنني نفذت بسعادة. فالبعض يقتل الأخطبوط بينما هناك كاكي ناضج لالتهامه! كان للبِّها، المحفز بالجليد، نكهة مشروب بالأحجار الكريمة. تمتلك الثلوج قدرة مذهلة في الذوق: تُركز العصائر اللذيذة وتصقل الأذواق: تعمل كطهو ذي رهافة معجزة.

في السماء السابعة، كنت أتذوق الكاكي الواحدة بعد الأخرى، وعيناي مضببتان من المتعة. لم أتوقف إلا حين نفدت المئونة. كان الوشاح خاويًا.

حدق رينري بي، يلهث مبهورًا. سألته إن كان المشهد قد أعجبه. رفع قماش الهدية الملطخ، وأعطاني علبة صغيرة من الشاش مخبأة تحته. فتحته بخوف سيُبرَّر فورًا: خاتم من البلاتين مرصع بالجمشت.

ـ لقد تفوق والدك على نفسه، تمتمت.

ـ هل تقبلين الزواج بي؟

ـ هل تعتقد أنه تبقى لي إصبعٌ خال؟ أجبت مظهرةً يديَّ المحملتين بالأعمال الأبوية.

شرع في الحساب، موضحًا لي أنني إن حركتُ العقيق اليماني بالخنصر، والزركون بالوسطى، والذهب الأبيض بالإبهام، والأوبال في السبابة، يمكنني تحرير البنصر.

ـ بارع، علقت.

ـ حسنًا. لا تريدين، قال.

Twitter: @ketab_n

ـ لم أقل هذا. نحن صغار بالسن جدًا.

ـ لا تريدين، كرر ببرود.

ـ قبل الزواج، هناك فترة تسمى الخطوبة.

ـ توقفي عن الحديث معي كأنني من المريخ. أعرف الخطوبة.

ـ ألا تعتقد أنها كلمة جميلة؟

ـ تتحدثين عن الخطوبة لأنها كلمة جميلة، أم لأنك ترفضين الزواج بي؟

ـ أريد ببساطة أن تسير الأمور بالترتيب.

ـ لماذا؟

ـ لديَّ مبادئ، سمعت نفسي أقول بذهول.

يحترم اليابانيون كثيرًا هذا النوع من الحجج.

ـ كم تدوم الخطوبة؟ سأل رينري كأنه استفسار عن القواعد.

ـ ليست ثابتة.

بدا أن هذا الجواب لم يعجبه.

ـ أصل لفظة الخطوبة هي كلمة الإيمان، أضفتُ لأدافع عن قضيتي. الخاطب هو من يعطي إيمانه للآخر. إنه جميل، أليس كذلك؟ أما كلمة زواج فمعناها سطحي بلا حدود، مثل العقد الذي يحمل اسمه بالضبط.

ـ إذن فلن تقبلي أبدًا الزواج بي، استنتج رينري.

ـ لم أقل هذا، قلت، مدركةً أنني تماديت كثيرًا.

كان هناك صمت محرج انتهيت بكسره:

ـ أقبل خاتم خطوبتك.

Twitter: @ketab_n

نفذ على أصابعي القوطية(*) الترتيب الذي أعلنه، وأدخل بالبنصر المحرر الجمشت المحبوس في البلاتين.

- أتعرف أن القدماء كانوا يُعزون إلى الجشمت خاصية علاج السكر؟

- إذن فسأحتاج إليه بشدة، قال رينري وقد أصبح مرةً أخرى عاشقًا للغاية.

بعد بضع ساعات، نام وبدأ أرَقي. حين فكرتُ مرةً أخرى في طلب زواج رينري، كان لديَّ شعور بأنني أعيش من جديد اللحظة التي أمسكتُ فيها مجسات الأخطبوط الميت بلساني. هذا الربط المرير بين الفكرتين لم يكن بسبب التزامن شبه الكامل للحدثين. حاولتُ طمأنة نفسي بالقول إنني نجحت في التخلص من قبضة الماصَّات، وأجلت خطر الزوجية إلى أجل غير مُسمًّى.

من ناحية أخرى، كانت هناك مسألة الكاكي، فلم تنجح حواء في الحديقة في قطف الثمرة المشتهاة. تعلَّم آدم الجديد الكياسة، وأتى لها بشحنة كاملة، وشاهدها وهي تأكل بحنان. حواء الجديدة، أنانية بذنبها، لم تقترح عليه ولا حتى قضمة.

أعجبتني كثيرًا هذه الطبعة الجديدة التي بدت لي أكثر تحضرًا من الطبعة الكلاسيكية. ورغم هذا، تصبح نهاية القصة قاتمة بطلب الزواج. لماذا ينبغي دائمًا أن يكون هناك ثمنٌ للمتعة؟ ولماذا يجب أن يكون ثمن الشهوة حتمًا فقدان الخفة الأصلية؟

(*) نسبةً إلى العصر "القوطي" (١١٥٠-١٥٠٠) بالغرب الأوروبي.

Twitter: @ketab_n

بعد ساعات من اجترار هذا الموضوع الهام، انتهيت إلى العثور على القليل من النوم. كان يمكن التنبؤ بحلمي: في كنيسة، كان كاهن يزوجني إلى أخطبوط عملاق. وضع الخاتم بإصبعي، ووضعت خاتمًا بكل مجس. قال رجل الرب:

- يمكنك أن تُقبِّل الزوجة.

أخذ الأخطبوط لساني في فتحة فمه، ولم يتركه أبدًا.

Twitter: @ketab_n

في اليوم التالي، أعادتنا الحافلة الريفية إلى رصيف الميناء. على المركب، لدى رؤية الجزيرة تبتعد، قال رينري:

- من المحزن أن نترك سادُو.

- نعم، أجبت، نصف صادقة. سأشتاق للكاكي.

نظر إليَّ رينري بعينين دامعتين وصاح:

- خطيبتي من سادُو!

- هذا غير مبشِّر.

في نيجاتا، كانت تنتظرنا المرسيدس التي أعادتنا إلى طوكيو. خلال الرحلة، كنت أسأل نفسي السؤال الذي فرض نفسه: لماذا لم أرفض؟ لم أكن أريد أن أتزوج رينري. فضلاً عن ذلك، لم تكن تعجبني مطلقًا فكرة الزواج. في هذه الحالة، ما الذي منعني من الرفض؟

كان التفسير يستند على أنني أحب رينري كثيرًا. كان الرفض يعني الانفصال، فيما لم أكن أريد إنهاء العلاقة. كان الكثير من الصداقة والحنان والضحك يربطني بهذا الفتى العاطفي. لم أكن أرغب في التخلي عن رفقته الساحرة.

Twitter: @ketab_n

أبارك مخترع الخطوبة. الحياة مرسومة باختبارات قوية مثل الصخرة؛ تسمح آلية السيولة بالسير فيها رغم هذا. الإنجيل، هذا الميثاق الرائع للأخلاق في استخدام الصخور والحصى والنُّصُب التذكاري، يعلمنا مبادئ رائعة متحجرة، "لتكن كلمة الله، نعم؟ نعم، لا؟ لا. ما نضيفه يأتي من الشيطان" - ومن يتمسك بالأمر هم كائنات لا تتآكل دفعةً واحدة، وتُحتَرم من الجميع. في المقابل، هناك كائنات غير قادرة على هذا السلوك الجرانيتي والتي لا يمكنها - بفعل التقدم - سوى التسلل، التسرب، التجنب. حين نسأل عما إن كانوا يريدون أم لا الزواج من فلان، فإنهم يقترحون الخطوبة، زواج مائع. يري البطاركة الحجريون فيهم خونة أو كذابين، بينما هم صادقون على طريقة الماء. إن كنت ماءً، فما معنى أن أقول لك نعم، سأتزوجك؟ هنا ستكون كذبة. نحن لا نمسك بالماء. نعم، سأرويك، سأجود عليك بثروتي، سأنعشك، سأخفف عطشك، لكنني لا أعلم أين سيكون مسار نهري، لن تستحم أبدًا مرتين في نفس الخطيبة.

تجذب هذه الكائنات السائلة الازدراء من الحشود حين سمحت تصرفاتهم المتموجة بتفادي الكثير من الصراعات. الكتل الكبيرة من الصخور الفاضلة، التي لا يكف أحد عن ثنائها، هي أصل كل الحروب. بالتأكيد، مع رينري، لم تكن مسألة سياسة دولية، لكن كان لابد أن أواجه الخيار بين مخاطرتين ضخمتين: واحدة تُسمَّى نعم، مرادفها الأبدية، الأمان، والاستقرار وكلمات أخرى تُجمِّد الماء من الخوف؛ والأخرى تُسمَّى لا، التي تترجَم بالتمزق، اليأس،

« .. وأنا التي كنت أعتقد أنك تحبينني، كنت تختفين من أمامي،

Twitter: @ketab_n

لكنك كنت تبدين سعيدة جدًا حين..» وكلمات حاسمة أخرى تجعل الماء يغلي من السخط، لأنها غير عادلة وهمجية.

يا لها من راحة بالعثور على حل الخطوبة! كانت إجابة مائعة لأنها لم تكن تحل شيئًا، وتؤجل المشكلة إلى وقت لاحق. لكن كسب الوقت هو أهم ما في الحياة.

في طوكيو، كإجراء وقائي، لم أتحدث عن هذه الخطوبة مع أحد.

في بداية يناير ١٩٩٠ دخلتُ واحدةً من سبع شركات يابانية ضخمة تسيطر، تحت ستار الأعمال التجارية، على السلطة اليابانية الحقيقية. شأن أي موظف، كنت أعتقد أنني سأعمل بها لأربعين عامًا.

في مقالي عن الذهول والارتجاف، تحدثتُ عن سبب صعوبة بقائي بها حتى نهاية عقدي الموقع لمدة سنة.

كان ذلك انزلاقًا إلى الجحيم بتفاهة قصوى. لم يختلف مصيري جذريًا عن مصير الغالبية العظمى من العاملين اليابانيين. ولم يزدد خطورة إلا بسبب وضعي كأجنبية وشيء من براعتي الشخصية في ارتكاب الحماقات.

في المساء، كنت ألتقي برينري وأحكي له عن يومي. لم يفتقر أي يوم منها إلى حصة من الإذلال. كان رينري يستمع لي وهو يعاني بأكثر مما تحملت، وحين أنهي قصتي، يهز رأسه ويطلب مني العفو نيابةً عن شعبه.

Twitter: @ketab_n

أكدتُ له أن شعبه لا علاقة له بذلك. فداخل هذه الشركة، كان لي عدة حلفاء قيمين، الواقع أن سبب عذابي لم يكن إلا شخصًا واحدًا، كما هو الحال غالبًا في عالم العمل. بالتأكيد، كان يستفيد من دعم كبير، لكن كان يكفي أن يتغير سلوكه ليتغير مصيري.

كنت أعيش حياة مزدوجة. عبدة بالصباح، خطيبة بالليل. كان يمكنني الانتفاع بالليالي لو لم تكن بالغة القصَر إلى هذا الحد: لم أكن ألتقي برينري قبل العاشرة مساءً، وفي هذه الفترة، كنت أستيقظ في الرابعة صباحًا لأكتب. دون الحديث عن بعض الليالي التي كنت أقضيها في الشركة، لأنني لم أنْه عملي.

كانت عطلات نهاية الأسبوع تختفي في هوة لا تترك فيها أية ذكري. كنت أستيقظ في وقت متأخر، أضع الغسيل المتسخ في الغسالة، أكتب، أنشر الغسيل ليجف. مستنزفةً من هذه الأنشطة، أقع مرةً أخرى على الفراش من تعب الأسبوع. كان رينري يريد، كما في السابق، أن يأخذني للقيام بأشياء مختلفة. لم تعد لديَّ القوة. الحد الأقصى الذي كان يمكنه الحصول عليه مني كان الذهاب للسينما مساء السبت. وكنت أنام فيها أحيانًا.

تحمل رينري بشجاعة هذه الخطيبة الشاحبة. كنت أنا التي لا تتحملها. في العمل، كنت أفهم نفسي. لم أكن أفهم إطلاقًا الشبح الذي كنت أتحول إليه خارج الشركة.

حين كان يوصلني المترو إلى أماكن العذاب، كنت أفكر في حياتي من قبل. كانت تفصلني عنها بضعة أشهر فقط. كان من الصعب التصديق. في هذا الوقت القصير، ما الذي حدث لزرادشت؟ هل واجهتُ حقًا بأقدام عارية القمم اليابانية؟ هل رقصتُ مع الجبل

Twitter: @ketab_n

فوجي كما أتذكر؟ وهل استمتعت كثيرًا مع هذا الفتى الذي أصبح الآن يراقبني وأنا نائمة؟

ليتني أستطعتُ إقناع نفسي بأنني أمر بوقت عصيب فقط! لكن كل شيء كان يدفع إلى الاعتقاد بأنني أصبحت الآن أعرف المصير المشترك، والذي سيكون مصيري خلال الأربعين عامًا القادمة. فتحت قلبي لرينري الذي سارع بالقول:

- توقفي عن العمل. تزوجيني. ستكون نهاية همومك.

كان الأمر مغريًا. أترك جلادي وأستفيد من الرفاهية المادية، أستمتع بالبطالة اللذيذة إلى الأبد بشرط وحيد، أن أعيش برفقة صبي ساحر، من كان سيتردد؟

أنا، دون أن أتمكن من فهم ذلك، كنت أنتظر شيئًا آخر. لم أكن أعلم ماهيته، لكنني كنت واثقة من أنني أتمناه. والرغبة تكون أعنف حين نجهل الشيء.

كان الجزء الواعي لهذا الحلم هو الكتابة التي كانت بالفعل تشغلني كثيرًا. بالتأكيد، لم أكن واهمةً لدرجة الاعتقاد أن كتاباتي ستنشر يومًا ما، ناهيك عن تخيل إيجاد وسيلة كسب عيش منها. لكنني كنت أريد بطريقة غير معقولة خوض هذه التجربة، على الأقل كي لا أندم لأنني لم أحاول اختبارها.

قبل اليابان، لم يسبق لي أن فكرت بهذا الأمر جديًا. كنت أخشى بشدة من الإذلال الذي كنت سأتعرض له في شكل خطابات رفض النشر.

Twitter: @ketab_n

حـاليًـا، نظرًا لحـيـاتي اليـومـيـة، لا يوجـد بعـد أي إذلال يمكنه إرعابي.

لم يكن كل هذا مؤكدًا للغاية. كان صوت العقل يصرخ لي بقبول هذا الزواج: "لن تصبـحي ثريةً دون أن تعملي فحسب، لكن أيضًا ستحصلين على أفضل الأزواج. لم تلتق أبدًا بشاب لطيف ومسلٍّ ومثير للاهتمام مثله. ليس به سوى صفات جيدة. إنه يحبك وأنت تحبينه بلا شك أكثر مما تعرفين. فرفْض الزواج من رينري بمثابة انتحار".

لم أكن قادرةً على حسم الأمر. لم تكن تخرج الـ نعم من فمي. كما في جزيرة سادُو، كنت أنسحب بالمراوغات.

تكرر الطلب كثيرًا. كان الجواب دائمًا مراوغًا. غير أنني كنت أموت خجلاً. بدا لي أنني أتعس الجميع، بدءًا بي.

في العمل، كان الجحيم. مع رينري، كنت أتلقى لطفًا لم أكن أستحقه. أحيانًا كنت أفكر أن محنتي المهنية كانت العقاب العادل لجحودي في الحب. كانت اليابان تستعيد مني بالصباح ما كانت تقدمه لي بالليل. قد تنتهي هذه القصة بشكل سيئ.

في بعض الأحيان، كنت أشعر بالارتياح بالذهاب للعمل. وقد يحدث أن أفضل الحرب المعلنة على السلام الزائف. وأفضل نفسي شهيدةً مرغمةً على أن أكون جلادةً حسنة النية. لطالما كرهت السلطة، لكن تحملها أقل إيلامًا من فرضها.

أسوأ حوادث الحياة لغوية. مساء أحد أيام الأسبوع، بعد منتصف الليل، بينما كان النوم يجذبني نحو الأعماق، طلب رينري

Twitter: @ketab_n

الزواج مني للمرة المئتين والأربعين. متعبةً للغاية، لدرجة تمنعني من المراوغة، أجبت لا ونمتُ على الفور.

في الصباح، بالقرب من محبرتي، اكتشفتُ كلمة من الفتى: "شكرًا، أنا سعيد جدًا".

استنتجت دروسًا ذات قيمة أخلاقية رفيعة: "جعلتِ شخصًا ما سعيدًا بوضوحك. يجب أن تجرئي على قول لا. فلا كياسة في إعطاء آمال كاذبة. الغموض هو مصدر الألم.. إلخ".

ذهبت إلى العمل لحصد جرعتي اليومية من الإذلال. في المساء، أمام باب الخروج، كان رينري ينتظرني.

- سآخذكِ إلى مطعم.
- هل أنت متأكد؟ أنا منهكة.
- لن يطول الأمر.

أمام قدحَي حساء السرخس البري، قال لي رينري إن والديه ابتهجا من الخبر الممتاز. انفجرت ضاحكةً وأجبت:

- هذا لا يدهشني.
- خاصةً والداي.

- هذا يدهشني. تخيلت بالأحرى أن والدتك ستكون الأسعد.

- بالنسبة للأم، من الأصعب أن ترى ابنها يرحل.

أثار هذا الحديث إشارة إنذار غامضة في ذهني. لم أكن أشك أنني قلت لا ليلة أمس، لكني لم أعد متأكدة من صيغة طلب الزواج. فإن كان رينري قد سأل بصيغة النفي، وهو أمر شائع في هذا البلد المعقد، فقد قُضي أمري. كنت أحاول تذكر قواعد النحو الياباني

Twitter: @ketab_n

للإجابة عن الأسئلة بصيغة النفي، وهو أمر معقد مثل حفظ خطوات رقصة التانجو. كان عقلي المنهك لا يجد مخرجًا، وقررت خوض التجربة. أمسكت إبريق الساكي وسألت:

- ألا تريد المزيد من الساكي؟

- كلا، أجاب الشاب بأدب.

وضعت الإبريق عديم الفائدة مرةً أخرى. بدا رينري محرجًا لكنه، لأنه لا يريد أن يأمرني، أخذ الإبريق وسكب لنفسه.

خبأت وجهي بين يدَي. لقد فهمت. لابد أنه سألني: "ألا تزالين لا تريدين الزواج بي؟" وأجبت بالطريقة الغربية. بعد منتصف الليل، عيبي المؤسف أنني أرسطية.

كان مروعًا. كنت أعرف نفسي بما يكفي لأعرف أنه لن تكون لديَّ القوة لاستعادة الحقيقة. ولأنني غير قادرة على أن أكون كريهة مع شخص لطيف، سأضحي بنفسي حتى لا أخيب أمله.

كنت أتساءل إن كان رينري قد تعمد طرح السؤال بصيغة النفي. لا أظن هذا. لكني لم أشك في أن لاوعيه قد أملى عليه خطة ميكيافيلية.

إذن، باسم سوء فهم لغوي، سأتزوج من فتًى ساحر، يتمتع بلاوعي منحرف. كيف أُخرج نفسي من هذه الورطة؟

- أخبرتُ والديكِ، أضاف. صرَخا من الفرح.

بالتأكيد. كان والدي ووالدتي مغرمين بهذا الشاب.

- ألم يكن من الأفضل أن أخبرهما بنفسي؟ سألت، عازمةً على ألا أطرح إلا أسئلة بصيغة النفي بعد الآن.

تفادى رينري العقبة.

Twitter: @ketab_n

ـ أعرف. لكنك تعملين وأنا ما زلت طالبًا. اعتقدت أن وقتك لن يسمح بإبلاغهما. هل أنت غاضبة مني؟

ـ لا، أجبت، آسفةً أنه لا يطرح السؤال بصيغة النفي، والذي سمح لي، تحت غطاء الاختلاف الثقافي، لأقول له طريقة تفكيري.

ـ "بعد كل ما حدث لي!" ختمت الحديث.

ـ ما التاريخ الذي تفضلينه؟ سأل.

لم يكن ينقص سوى هذا.

ـ لا يجب أن نقرر كل شيء في وقت قصير، أجبت. على أية حال، فهذا مستحيل طالما أعمل عند يوميموتو.

ـ أفهم. متى ينتهي عقدك؟

ـ بداية يناير.

أنهى رينري حساءه وقال:

ـ ١٩٩١ إذن. سيكون عامًا يُقرأ طرديًا وعكسيًا. عام جيد للزواج.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

انتهى عام ١٩٩٠ بالارتباك التام.

كان هناك شيء وحيد واضح: كنت مستقيلة. يجب على شركة يوميموتو أن تعمل قريبًا بدون خدماتي القيمة.

أردتُ بشدة أن أستقيل أيضًا من زفافي. لسوء الحظ، كانت رقة رينري المتزايدة تنزع كل الأسلحة.

ذات ليلة، سمعت صوتًا داخليًا يقول لي: "تذكري درس كوموتوري ياما. حين سجنتك يامامابا، وجدتِ الحل: الهروب. أعاجزةٌ عن إنقاذ نفسك بالكلام؟ أنقذي نفسك بساقيك".

حين يتعلق الأمر بالفرار من البلاد، تأخذ الساقان شكل طائرة: سرًا، اشتريت تذكرة من طوكيو لبروكسل، ذهابًا فقط.

- ذهاب وعودة أرخص، قالت البائعة.

- ذهاب فقط، أصررت.

الحرية لا ثمن لها.

كان هذا في فترة غير بعيدة، حيث لم تكن التذكرة الإلكترونية موجودة: تذكرة الطائرة، المغطاة بورق مقوّى، والمغلفة، كانت واقعًا

Twitter: @ketab_n

ملموسًا بقاع الحقيبة أو الجيب، حيث يمكن لليد أن تطمئن عليها ثلاثين مرة في اليوم. كانت المشكلة تكمن في أنه لو فقدناها، فإن الحصول على نسخة منها بمثابة معجزة. لكن لم يكن هناك أي خطر أن أفقد رمز حريتي هذا.

لأن عائلته في ناجويا، قضيت مع رينري، في القصر الأسمنتي، أول ثلاثة أيام من العام الجديد، الأيام الوحيدة، في اليابان، التي يُحرم فيها العمل بالفعل. يصل هذا إلى حد حظر الطّهي: ملأت والدته العلب التقليدية المبرنقة بطعام بارد خاص بأيام العطلة الثلاثة - مكرونة الحنطة السوداء، الفاصولياء الحلوة، كعك الأرز وغرائب أخرى كانت تروق للعين أكثر من الفم.

- لستِ مضطرة أن تأكلي هذا، قال رينري الذي كان، بلا خجل، يطهو لنفسه سباجيتي.

لم أكن أشعر أنني مضطرة: لم يكن جيدًا جدًا، لكنني كنت مبهورة ببريق الفاصولياء اللامعة بالسكر الذي كان ينعكس في الأسود العميق للورنيش. أمسكتها واحدةً تلو الأخرى بالأعواد، محتفظةً بالعلبة المربعة بمستوى العين، حتى لا أفقد أي جزء من المشهد.

بفضل تذكرة الطائرة المخبأة، كانت هذه الأيام ممتعة. كنت أنظر إلى الشاب بفضول متسامح: كان هو إذن، هذا الفتى الذي كنت سعيدة معه لعامين متتاليين، والذي أستعد للفرار منه. يا لها من قصة فريدة، يا لها من ورطة سخيفة - ألم يكن له رغم هذا أجمل عنق يمكن تصوره، أكثر الأساليب روعة، ألم أكن بخير حقًا

Twitter: @ketab_n

برفقته، قلقة وفي نفس الوقت على راحتي، ذاك الذي كان ينبغي أن يمثل حياة مشتركة مثالية؟

ألم يكن ينتمي إلى هذا البلد الذي كنت أحبه من بين جميع البلدان؟ ألم يكن الدليل الوحيد على أن الجزيرة المعشوقة لم تكن تلفظني؟ ألم يكن يقدم لي الطريقة الأبسط والأكثر قانونية لاكتساب الجنسية الرائعة؟

أخيرًا، ألم أكن أحس بمشاعر حقيقية تجاهه ؟ نعم، بالتأكيد. كنت أحبه كثيرًا، وهذا الكثير، فيما يخصني، كان جديدًا. غير أن حضور "الحال" في هذا الخطاب هو الذي أقنعني بالحاجة الملحة للرحيل.

كان يكفي، في ذهني، أن أتخيل تدمير تذكرة الطيران، لتتحول صداقتي الحنون لرينري إلى رعب عدائي. وعلى النقيض، كان يكفي أن ألمس ورقها اللامع في حقيبتي لأشعر بتدفق خليط من الفرح والشعور بالذنب في قلبي، بما يشبه الحب دون أن يكون هو الحب، مثل الموسيقى المقدسة التي تُعدي الروح بزخم يشبه الإيمان دون أن يكون الإيمان.

كان يأخذني أحيانًا بين ذراعيه دون قول شيء. لا أتمنى لألد أعدائي أن يشعر بما كنت أشعر به حينها. ولم تكن هناك أبدًا لحظات يتسم فِيها رينري بسلوك حقير، سوقي أو تافه. لحظات كهذه كان يمكن أن تسعدني.

- في حقيقة الأمر، ما مِن شيء سيئ فيك، قلت له.

صمت بدهشة وانتهى بسؤالي إن كان هذا سؤالاً. بدا لي ذلك إجابة نموذجية.

Twitter: @ketab_n

كنت على حق: أحببته كثيرًا لأنه لم يكن ينطوي على شر. ولأنه غريب عن الشر فلم أكن أشعر بالحب تجاهه، رغم أن الشر لم يكن يعجبني. لكن الطبق لا يكون لذيذًا إلا حين يحتوي على لمسة خل. والسيمفونية التاسعة لبتهوفن كان يمكن أن تكون غير محتملة للآذان إن لم تتضمن نغمات يائسة. ولم يكن ليسوع أن يلهم البشر إلى هذا الحد لو لم ينطق أحيانًا بكلام قريب جدًا من الكراهية.

ذكرتني هذه الفكرة بفكرة أخري:

- ألا تزال الساموراي يسوع؟

أجابني رينري ببراعة مدهشة:

- آه نعم، لم أعد أفكر فيه أبدًا.

- هل أنت كذلك أم لا؟

- نعم، قال، كأنه كان يعلن أنه طالب.

- هل لديك إشارات على ذلك؟

رفع كتفيه بطريقته المعتادة وواصل:

- أقرأ حاليا كتابًا عن رمسيس الثاني. فهذه الحضارة تستهويني. أريد أن أصبح مصريًا.

فهمت إلى أي حدٍّ كان يابانيًا: كان لديه هذا الفضول الصادق والعميق تجاه كل الظواهر الثقافية الأجنبية. لهذا نجد يابانيين متخصصين في اللغة البريتونية للقرن الثاني عشر، وموضوع التبغ في الرسم الفلمنكي. في ميول رينري المتعاقبة، أخطأت في رؤية تحقيق الذات: كان يهتم بالآخرين. هذا كل شيء.

Twitter: @ketab_n

التاسع من يناير ١٩٩١ أبلغت خطيبي أنني سأسافر إلى بروكسل في اليوم التالي. قلت هذا بخفة شديدة، كأنني كنت أتحدث عن الذهاب لشراء الجريدة.

- ماذا ستفعلين في بلجيكا؟ سأل رينري.

- لأرى أختي وبعض المعارف.

- متى ستعودين؟

- لا أعرف. عما قريب.

- أتريدين أن أوصلك إلى المطار؟

- أنت لطيف. سأدبر أمري.

أصر. في العاشر من يناير، لآخر مرة، انتظرتني المرسيدس البيضاء أمام منزلي.

- يا لها من حقيبة سفر ضخمة وثقيلة! قال الفتى وهو يضعها في صندوق السيارة.

- هدايا، علّقت.

كنت أحمل كل أشيائي.

في ناريتا، طلبتُ منه أن يغادر فورًا.

- أكره الوداع في المطارات.

قبلني وغادر. ما إن اختفى، حتى صفا حلقي، انشرح صدري وترك حزني مكانًا لفرح استثنائي.

ضحكت. وصفتُ نفسي بكل الأوصاف. وجهت لنفسي كل السباب الذي كنت أستحقه، لكن ذلك لم يمنعني من الضحك من الراحة.

Twitter: @ketab_n

كنت أعـرف أنني يجب أن أكـون حـزينة، خـجلة.. إلخ. لكنـني لم أستطع أن أشعر بهذا.

في التسجيل، طلبت مقعدًا بالقرب من النافذة.

Twitter: @ketab_n

ثمة فرحٌ أكبر من فرح المطارات: وهو ما نشعر به عند الجلوس في طائرة. يبلغ هذا الفرح ذروته حين تقلع الطائرة، ويكون لدينا مقعد بالقرب من النافذة.

رغم هذا، كنت يائسة فعلاً لترك بلدي المفضل، والرحيل في ظروف كهذه: يجب القول إن الخوف من الزواج، بالنسبة لي، يتغلب على كل شيء. كنت مبتهجة. كانت أجنحة الطائرة أجنحتي.

تعمد قائد الطائرة الطيران فوق جبل فوجي بالتأكيد. كم كان جميلاً منظره من السماء! وجهت له هذا الخطاب العقلي:

"أيها الأخ العزيز، أحبك. لا أخونك برحيلي. من الممكن أن يكون الهرب فعلَ حب. لكي أحب، أحتاج إلى أن أكون حرة. أرحل لأحافظ على جمال ما أشعر به تجاهك. فلا تتغير".

وسرعان ما لم يعد هناك يابان يمكن رؤيتها من النافذة. هنا أيضًا، لم يدمر التمزق نشوتي. كانت أجنحة الطائرة تطيل جسدي. هل هناك ما هو أفضل من أن تُمنح أجنحة. وأية مدينة يمكن أن تصل إلى كاحل لاس فيجاس؟ على نحو مضحك، كان فيها أسهل

Twitter: @ketab_n

زواج بالعالم، بينما كانت رينو مدينة الطلاق. بدا لي العكس أكثر تبريرًا: الأجنحة، تستخدم في الهرب.

يُقال إنه لا مجد في الهروب. يا للخسارة، إنه لطيف جدًا. يمنح الهروب إحساسًا رائعًا بالحرية الأروع على الإطلاق. نشعر بحرية ونحن نهرب أكبر من حريتنا حين لا يكون لدينا ما نهرب منه. للهارب عضلات ساق منتشية، جلد مرتعش، فتحتا أنف مختلجتان، وعينان متسعتان.

موضوع الحرية هو موضوع مبتذل تدفعني كلماته الأولى إلى التثاؤب. التجربة الجسدية للحرية، هي شيء آخر. يجب أن يكون لدينا دائمًا ما نفر منه، لنزرع بأنفسنا هذه الإمكانية الرائعة. بالإضافة لذلك، لدينا دائمًا ما نهرب منه. ولو حتى الهرب من الذات.

الخبر السار، أنه يمكننا الهرب من أنفسنا. ما نهرب منه من ذاتنا، هو السجن الصغير الذي يقيمه عدم الترحال في أي مكان بداخلنا. نأخذ كل ما نمتلكه ونرحل: الأنا متفاجئة إلى حد أنها تنسى لعب دور السجان. يمكننا أن نتخلص من أنفسنا كما نتخلص من الملاحقين.

من النافذة، سيبيريا اللا نهائية، كلها بيضاء من الشتاء، سجن مثالي بسبب الضخامة. مَن يهربون يموتون تائهين في فضاء مفرط الشساعة. إنها مفارقة اللانهائي: نشعر مسبقًا بحرية لا وجود لها. إنه سجن كبير جدًا إلى حد أننا لا نخرج منه أبدًا. عندما نراه من الطائرة، من السهل أن نفهم.

Twitter: @ketab_n

وجد الزرادشت الذي بداخلي نفسه يفكر أنه إذا ما كنت أسير على قدمي، فيمكن لي أن أترك آثارًا على الجليد، تمكنهم من اقتفاء أثري. الأجنحة، اكتشاف مقدس.

مجد ضعيف، الهرب؟ لكنه رغم هذا أفضل من الاستسلام للأسْر. العار الوحيد، هو ألا تكون حرًا.

تلقًى كل راكب سماعات. أتفحص البرامج الموسيقية المختلفة، مندهشة من أن البعض يمكنه السفر بمصاحبة وحدات صوت ثنائية من هذا القبيل. فجأة، أعثر على الرابسوديات المجرية لليست(*): أول ذكرى لي في مجال الموسيقى. أبلغ عامين ونصفًا، أنا في صالون شوكوجاوا، تقول لي أمي باحتفاء: "إنها الرابسوديات المجرية". أستمع إليها كأنها قصة. إنها قصة أشرار يلاحقون الطيبين الذي يفرون على الخيل. الأشرار أيضًا فرسان. يعود الأمر لمن يجري أسرع. تقول الموسيقى أحيانًا إن الطيبين تم إنقاذهم، لكنهم مخطئون، فللأشرار حيَلهم ليوحوا لهم أنهم بعيدو المنال، لأسْرهم بشكل أفضل. انتهى الأمر، فَهِم الطيبون الحيلة، لكن بعد فوات الأوان، فهل سينجون من الخطر؟ تركض خيولهم بسرعة بلا توقف، أصبحوا هم والخيل شيئًا واحدًا، استنزفهم السباق مثلما استنزف الخيل، وأنا بجانبهم، لا أعرف إن كنتُ طيبة أم شريرة، لكنني حتمًا مع الهاربين، أملك روح الطريدة، يدق قلبي بجنون، أوه، هاوية، هل ستعبر الخيول هوة عميقة كتلك، هذا لا مفر منه، إما هذا أو السقوط بين أيديهم، أستمع، والعينان مفتوحتان بشدة من الخوف، تقفز الخيول وتبلغ بالكاد الجانب الآخر، نجوا، لا يقفز

(*) هو الموسيقار المجري فرانز ليست. و"الرابسوديات المجرية" أحد مؤلفاته الموسيقية.

Twitter: @ketab_n

الأشرار، إنهم أقل شجاعة لأنهم ليس لديهم ما يهربون منه، فرغبة الأسْر أقل قوة من الخوف من الأسر، لهذا السبب تنتهي الرابسوديات المجرية لِليسْت بانتصار.

أُعمِّد الطائرة بيجاس(*). ضاعفت موسيقى لِيسْت سعادتي ألف مرة. أبلغ ثلاثة وعشرين عامًا، ولم أجد بعد شيئًا مما كنت أبحث عنه. لهذا السبب تعجبني الحياة. من الجيد، وأنت في الثالثة والعشرين، ألا تكون قد اكتشفت طريقك.

١١ يناير ١٩٩١هبطت بمطار زافنتم. قفزتُ في أحضان جولييت التي كانت تنتظرني. بعد أن صرخنا، نبحنا، زأرنا، ثغأنا، صئنا، نعبنا، عوينا قدر ما نريد، سألتني أختي:

ـ لن تسافري مرةً أخرى، أليس كذلك؟

ـ أنا باقية! قلت لإنهاء غموض الأسئلة بصيغة النفي.

اصطحبتني جولييت إلى منزلنا، في بروكسل. كانت هذه إذن، بلجيكا. أصبحتُ أكثر حنانًا إزاء هذه السماء الرمادية الخفيضة، إزاء قرب الأماكن، إزاء العجائز المتكورات داخل معطافهن بحقائبهن، إزاء الترام.

ـ ورينري، هل سيأتي؟ سألت جولييت.

ـ لا أعتقد، أجبت بمراوغة.

منعها ذوقها من الإلحاح.

(*) بيجاس أو بيجاسوس: اسم الحصان المجنح السماوي، في الأساطير الإغريقية.

Twitter: @ketab_n

استأنفتُ حياتنا المشتركة كما كانت قبل ١٩٨٩ . العيش مع أختك، كان جيدًا. اعترف الضمان الاجتماعي البلجيكي رسميًا بهذه الرابطة بمنحي الوضع الرسمي لمدبرة منزل: بأوراقي، كُتب: "مدبرة منزل جولييت نوتومب". هذا لا يُخترع. كنت آخذ مهنتي بجدية شديدة، وكنت أغسل ملابس أختي.

في ١٤ يناير ١٩٩١ بدأت أكتب رواية بعنوان (نظافة قاتل). في الصباح، كانت جولييت تذهب إلى العمل قائلة: "إلى اللقاء، يا مدبرة المنزل!". كنت أكتب لوقت طويل جدًا، ثم أنشر الغسيل الذي كنت قد نسيته في الغسالة. وفي المساء، كانت جولييت تعود وتكافئ مدبرة منزلها بقُبلة.

في اليابان، وفرتُ جانبًا جزءًا من راتبي وأعدته معي. حسبت أنه مع مدخراتي، يمكنني أن أصمد لعامين بالعيش بشكل متواضع. إذن، في ختام هذين العامين، إن لم أجد ناشرًا، سيكون هناك دائمًا وقت للبحث عن حل، قلت لنفسي باستخفاف. كنت أحب هذه الحياة. التناقض مع عملي في الشركة اليابانية جعله مثاليًا.

أحيانًا، كان جرس الهاتف يرن. لم يخطر ببالي أنني سأصادف صوت رينري. لم أكن أفكر فيه أبدًا، ولم أر أي رابط بين حياتي في اليابان وحياتي في بلجيكا: أن يحدث تبادل هاتفي بين الاثنين بدا لي في غرابة رحلة عبر الزمن. فوجئ الفتى من اندهاشي.

- ماذا تفعلين؟ سألني.

- أكتب.

- عودي. ستكتبين هنا.

- أنا أيضًا مدبرة منزل جولييت. أنظف- أعتني بأشيائها.

Twitter: @ketab_n

- كيف كانت تدبر أمرها بدونك؟

- على نحو سيئ.

- هاتيها معك.

- جيد جدًا. ستتزوجنا نحن الاثنتين.

ضحك. لم أكن أمزح، رغم هذا. كان هذا بالنسبة لي الشرط الوحيد الذي يمكنه أن يجعلني أقبل هذا الزواج.

ختم قائلاً:

- آمل ألا تتأخري أكثر من ذلك. اشتقت إليك.

ثم أنهى المكالمة. لم ينتقدني أبدًا. كان لطيفًا. كنت أشعر بالذنب قليلاً، لكن ذلك مر بسرعة.

تدريجيًا، تباعدت المكالمات الهاتفية حتى توقفت. وجُنبت هذا الفصل الحزين، البربري والكاذب، الذي يسمى الانفصال. لا أفهم الانفصال، إلا في حالة جريمة خسيسة. أن تقول لشخص ما إن الأمر انتهى. حتى عند التوقف عن التفكير في شخص ما، كيف نشك في وجوده بداخلنا؟ فإنسان كان عزيزًا عليك سيظل عزيزًا إلى الأبد.

فيما يتعلق بريتري، كان هذا من جانبي في منتهى الشر: "هكذا، كنت طيبًا للغاية معي، أنت أول رجل أسعدني، ليس لديَّ ما ألومك عليه، لا أملك سوى ذكريات رائعة معك، لكن لم تعد لديَّ رغبة في أن أكون معك". كنتُ سأشعر بالذنب لو قلت له فظاعةً من هذا القبيل. كان ذلك سيفسد تلك القصة الجميلة.

Twitter: @ketab_n

أشكر رينري لأنه كان بهذا الرقي: فهم الرسالة دون أن أضطر لقولها له. هكذا، عشت علاقة مثالية.

في أحد الأيام، دق جرس الهاتف، كان فرانسيس إزمينار، من دار نشر ألبين ميشيل. كان يبلغني أنه سينشر (نظافة قاتل)، في الأول من سبتمبر ١٩٩٢ في باريس. حياة جديدة بدأت.

في بداية ١٩٩٦ اتصل بي أبي من طوكيو:

- تلقينا دعوة من رينري. سيتزوج.

- هكذا إذن!

- سيتزوج فرنسية.

ابتسمت. دائمًا هذا الانجذاب إلى لغة فولتير.

في ديسمبر ١٩٩٦ دعاني ناشري الياباني إلى طوكيو بمناسبة صدور (نظافة قاتل) باللغة اليابانية.

على طائرة بروكسل/ طوكيو، كنت أشعر أنني غريبة. فقد مر نحو ست سنوات منذ أن رأيت البلد المحبوب الذي هربت منه. خلال هذا الوقت، حدثت لي أشياء كثيرة. ١٠ يناير ١٩٩١ كنت عاملة نظافة حمامات تركت عملها للتو. ٩ ديسمبر ١٩٩٦ كنت كاتبة جاءت للإجابة عن أسئلة الصحفيين. في مرحلة كهذه، لم يعد موضوع صعود اجتماعي، كان تزويرًا للهوية.

لابد أن الطيار تلقى تعليمات ما: لم نُحلق فوق جبل فوجي. في طوكيو، لم أتعرف على الكثير. لم تتغير المدينة كثيرًا، لكنها لم تعد حقل تجربتي. اصطحبتني سيارة رسمية إلى أماكن تحدث معي فيها صحفيون باحترام، وسألوني أسئلة جدية. كنت أجيب عليها باستخفاف، وكنت محرجة لرؤيتهم يدونون كل شيء باحترام. كنت أود أن أقول لهم: "ما بالكم. إنني أمزح!".

Twitter: @ketab_n

نظم الناشر الياباني حفل كوكتيل لإطلاق الكتاب. كان هناك الكثير من المدعوين. ١٣ ديسمبر ١٩٩٦ في هذا الحشد، رأيت وجهًا لم أكن قد رأيته منذ ٩ يناير ١٩٩١، ركضت نحوه وأنا أنطق باسمه. نطق اسمي. ذهلت. تركت فتًى يزن ستين كيلوجرامًا، ووجدت شابًا يزن تسعين كيلوجرامًا. ابتسم وصرح:

- لقد سمنت، أليس كذلك؟
- ماذا حدث؟

عضضت شفتي لطرحي هذا السؤال الغبي. كان يمكنه أن يجيبني: "لقد رحلتِ". منعه رُقيه من الإجابة، واكتفى بهزة كتفيه التي كانت تميزه.

- لم تتغير، قلت وأنا أبتسم.
- وأنتِ أيضًا.

كنت أبلغ تسعة وعشرين عامًا، كان يبلغ ثمانية وعشرين.

- قيل إنك تزوجت فرنسية، أضفت.

أومأ بالإيجاب واعتذر بالنيابة عنها: لم تتمكن من مرافقته.

- إنها ابنة لواء، أضاف.

انفجرتُ ضاحكة من هذه الغرابة الجديدة.

- رينري الجليل!
- أنا الجليل.

طلب مني أن أكتب له إهداءً على نسخته من (نظافة قاتل). لم تكن لديَّ أدنى فكرة عما أكتبه.

كان هناك آخرون ينتظرون إهداءاتهم. وكان ينبغي أن أستريح. عندئذ حدث شيء مرعب.

Twitter: @ketab_n

قال لي رينري ببساطة:

ـ أريد أن أعانقك عناق الساموراي الأخوي.

كان لوقع هذه الكلمات قوة مروعة عليَّ. أنا التي سعدت كثيرًا برؤية هذا الفتى مرةً أخرى، غمرني فجأةً انفعال لا يُحتمل. ألقيت بنفسي بين ذراعيه لإخفاء الدموع التي كانت تتصاعد. ضمني، ضممته.

كان قد وجد الكلمات المناسبة. استغرق أكثر من سبع سنوات ليجدها، لكن لم يفت الأوان. حين كان يحدثني عن الحب، كنت لا أبالي لأنها لم تكن الكلمة المناسبة. لكن هنا، قال للتو ما عشته معه، فهمته للتو. وحين تقال لي الكلمة المناسبة، أصبح قادرة على الشعور في النهاية.

خلال هذا العناق الذي استمر عشر ثوان، شعرت بكل ما كان يجب أن أشعر به خلال كل هذه السنوات.

كان ذلك قويًا بشكل رهيب، عشت سبع سنوات من العاطفة في عشر ثوان. كان هذا إذن رينري وأنا: عناق الساموراي الأخوي. أجمل كثيرًا وأنبل من قصة حب حمقاء.

بعد ذلك، ترك كل ساموراي جسد الساموراي الآخر. تصرف رينري بلباقة، ورحل فورًا دون الالتفات للوراء.

رفعتُ رأسي إلى السماء حتى تبتلع عيني دموعها.

كنتُ الساموراي الذي يجب أن يهدي الكتاب إلى الشخص التالي.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت».. للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» .. رواية .. جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر».. للكاتب الفرنسى «بيير بيجى».. رواية.. جائزة إنتر.

٣ ـ «موال البيات والنوم».. للكاتب المصرى «خيرى شلبى» .. رواية .. جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» .. سيرة ذاتية.. جائزة سلطان العويس.

٥ ـ «اللمس».. للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله».. مسرح .. جائزة أبها.

٦ ـ «عاشوا فى حياتى».. للكاتب المصرى «أنيس منصور» .. سيرة ذاتية.. جائزة مبارك.

٧ ـ «قبلة الحياة».. للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» .. رواية.. جائزة التفوق.

٨ ـ «ليلة الحنة».. للكاتبة المصرية «فتحية العسال» .. مسرح.. جائزة التفوق.

Twitter: @ketab_n

٩ ـ «العاشقات».. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٠ ـ «نوّة الكرم».. للكاتبة المصرية.. «نجوى شعبان».. رواية.. جائزة الدولة التشجيعية.

١١- «الفسكونت المشطور».. للكاتب الإيطالى «إيتالوكالڤينو».. رواية.. (عدد خاص).. جائزة فياريچيو.

١٢- «القلعة البيضاء».. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٣ - «أين تذهب طيور المحيط».. للكاتب المصرى «إبراهيم عبدالمجيد».. أدب رحلات .. جائزة التفوق.

١٤ ـ «قرية ظالمة».. للكاتب المصرى «محمد كامل حسين» .. رواية.. (عدد خاص).. جائزة الدولة للأدب.

١٥ ـ «الرجل البطىء».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج . م . كوتسى».. رواية .. جائزة نوبل.

١٦ ـ «طحالب».. للكاتبة الجنوب إفريقية «مارى واطسون» .. متتالية قصصية .. جائزة كين .

١٧ ـ «شوشا».. للكاتب البولندى «إسحق باشيفيس سنجر».. رواية .. جائزة نوبل.

١٨ - «شارع ميجل».. للكاتب من ترينداد «ف. س. نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

١٩ ـ «الحياة الجديدة».. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

٢٠ ـ «عشر مسرحيات مختارة».. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

Twitter: @ketab_n

٢١ ـ «الآخر مثلى».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. رواية .. جائزة نوبل.

٢٢ ـ «المستبعدون».. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك».. رواية.. جائزة نوبل.

٢٣ ـ «الأنثى كنوع».. للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. قصص.. جائزة بن مالامود.

٢٤ ـ «ثلاثة أيام عند أمى».. للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» .. رواية.. جائزة الجونكور.

٢٥ ـ «إسطنبول.. الذكريات والمدينة».. للكاتب التركى «أورهان باموق».. جائزة نوبل.

٢٦ ـ «الطوف الحجرى».. للكاتب البرتغالى «جوزيه سارامارجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٢٧ ـ «نار وريبة».. للكاتبة الألمانية «بريچيتّه كروناور».. مختارات..جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٢٨ ـ «الذكريات الصغيرة».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

٢٩ ـ «إليزابيث كُستّلّو».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى» .. رواية.. جائزة نوبل.

٣٠ ـ «السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود».. للكاتبة الألمانية «بريجيته كروناور» .. قصص.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٣١ ـ «حين تقطعت الأوصال».. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

Twitter: @ketab_n

٣٢- «مارتش».. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس».. رواية.. جائزة البوليتزر.

٣٣ - «اغتنم الفرصة».. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٤ - «البصيرة».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٥ - «بريك لين».. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. جائزة البوكر.

٣٦- «بريد بغداد».. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب.

٣٧ - «عن الجمال».. للكاتبة البريطانية «زادى سميث».. رواية.. جائزة الأورانج.

٣٨ - «العار».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٩ - «قبلات سينمائية».. للكاتب الفرنسى «إيريك فوتورينو».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٠ ـ «هكذا كانت الوحدة».. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة نادال.

٤١ ـ «الشلالات».. للكاتبة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٢ ـ «العشب يغنى».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٣ ـ «العالم».. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة بلانيتا.

Twitter: @ketab_n

٤٤ ـ «ميراث الخسارة».. للكاتبة الهندية «كيران ديساى».. رواية.. جائزة البوكر.

٤٥ ـ «الطفل الخامس».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٦ ـ «بن يجوب العالم».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٧ ـ «ثورة الأرض».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٨ ـ «ملك أفغانستان لم يزوجنا».. للكاتبة الفرنسية «إنجريد توبوا».. رواية.. جائزة الرواية الأولى فى فرنسا.

٤٩ ـ «الكهف».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٠ ـ «يوميات عام سيئ».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج.م كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٥١ ـ «كازانوفا».. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.

٥٢ ـ «انقطاعات الموت».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٣ ـ «العم الصغير».. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة هيلده دومين لأدب المنفى.

٥٤ ـ «اللعب مع النمر».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٥ ـ «فى أرض على الحدود».. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة نظرات أدبية.

Twitter: @ketab_n

٥٦ ـ «الإرهابية الطيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٧ ـ «المسرحيات الكبرى» جـ, ١. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٨ ـ «المسرحيات الكبرى» جـ, ٢. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٩ ـ «نصف شمس صفراء».. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى .. رواية..جائزة الأورانج.

٦٠ ـ مذكرات چين سومرز «مذكرات جارة طيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦١ ـ مذكرات چين سومرز «إن العجوز استطاعت».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦٢ ـ «الحوت».. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية.. جائزة نوبل.

٦٣ ـ «رقة الذئاب».. للكاتبة الأسكتلندية «ستيف بينى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٤ ـ «رحلة العم مآ».. للكاتب الجابونى «چان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٦٥ ـ «مسيرة الفيل».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٦٦ ـ «كرسى النسر».. للكاتب المكسيكى «كارلوس فوينتيس».. رواية.. جائزة سرفانتيس.

٦٧ ـ «داى».. للكاتبة الأسكتلندية «أ. ل. كيندى».. رواية.. جائزة كوستا.

Twitter: @ketab_n

٦٨ ـ «الحب المدمر».. للكاتب الأمريكى الكندى «دي واى بيشارد».. رواية.. جائزة الكومنولث.

٦٩ ـ «أين نذهب يابابا»؟.. للكاتب الفرنسى «جون لوى فورنييه».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٧٠ ـ «نداء دينيتى».. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٧١ ـ «صخب الميراث».. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٧٢ ـ «المؤتمر الأخير».. للكاتب الفرنسى «مارك بروسون».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

٧٣ ـ «كتاب الرسم والخط».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٧٤ ـ «كلُّ رجل».. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

٧٥ ـ «نُريد أن نتحدث عن كيڤين».. للكاتبة الأمريكية «ليونيل شرايفر».. رواية.. جائزة الأورانج.

٧٦ ـ «ألم فذ».. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.. جائزة جيمس تيت بلاك.

٧٧ ـ «أناقة القنفذ».. للكاتبة الفرنسية «موريل باربرى».. رواية.. جائزة المكتبات للرواية.

٧٨ ـ «حزن مدرسى».. للكاتب الفرنسى «دانيل بناك» رواية.. جائزة روندو.

٧٩ ـ «غدًا».. للكاتب الألمانى «فالتر، كاباخر».. رواية.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

Twitter: @ketab_n

٨٠ ـ «الكلمة المكسورة».. للكاتب الإنجليزى «آدم فولدز».. رواية/ قصيدة.. جائزة كوستا.

٨١ ـ «أن نُصبح أغرابًا».. للكاتبة الإنجليزية «لويز دين».. رواية.. جائزة بيتى تراسك.

٨٢ ـ «المرأة المسكونة».. للكاتبة النيكاراجوية «جيوكوندا بيلي».. رواية.. جائزة كاسا دى لاس أمير كاس.

٨٣ ـ «بيتر كامينتسند».. للكاتب الألمانى «هِرْمَن هيسّه».. رواية.. (عدد خاص).. جائزة نوبل.

٨٤ ـ «بيت السيد بيسواس».. للكاتب من ترينداد «ف. س. نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

٨٥ ـ «مدريد الأصيلة».. للكاتب الإسبانى «كارلوس أرنيتشيس».. مسرح.. وسام الاستحقاق.

٨٦ ـ «لافينيا».. للكاتبة الأمريكية «أوروسولا كى لى جوين».. رواية.. جائزة ديمون نايت التذكارية الكبرى.

٨٧ ـ «أشجار متحجرة».. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

٨٨ ـ «سنوات الهروب».. للكاتب الكولومبى «بلينيو أبوليو ميندوثا».. رواية.. جائزة بلازا إي خانيس.

٨٩ ـ «الباحث عن الذهب».. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية.. جائزة نوبل.

٩٠ ـ «جائزة أو. هنرى».. مجموعة من المؤلفين.. قصص قصيرة.. القصص الفائزة بجائزة أو. هنرى لـ عام ٢٠٠٧,

٩١ ـ «الحيوان المُحتضر».. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة بن /نابوكوف.

Twitter: @ketab_n

٩٢ ـ «أنشودة الاباما».. للكاتب الفرنسى «جيل لوروا».. رواية.. جائزة الجونكور.

٩٣ ـ «إنجيل الابن».. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. رواية.. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

٩٤ ـ «الوصمة البشرية».. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

٩٥ ـ «ليتنى لم أقابل نفسى اليوم».. للروائية الألمانية «هيرتا موللر».. رواية.. جائزة نوبل.

٩٦ ـ «حكاية أوزوالد جـ١».. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. لغز أمريكى.. الكتاب الأول. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

٩٧ ـ «حكاية أوزوالد جـ٢».. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. لغز أمريكى.. الكتاب الثانى. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

٩٨ـ «وبنى لها معبدًا».. للكاتب الألمانى «سيجفريد أوبرماير».. رواية.. جائزة شيلزهايم.

٩٩ ـ «جنون المتاهة».. للكاتب الإنجليزى «آدم فولذر».. رواية.. جائزة صنداى تايمز لكاتب شاب.

١٠٠ ـ «الملك ينحنى ليقتل».. للكاتبة الألمانية «هيرتا موللر».. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

١٠١ ـ «العبد».. للكاتب البولندى «إسحق باشيفيس سنجر».. رواية.. جائزة نوبل.

١٠٢ ـ «الفراشة والدبابة».. للكاتب الأمريكى «إرنست همنجواى».. قصص.. جائزة نوبل.

١٠٣ ـ «التجمع».. للكاتبة الأيرلندية «آن إنرايت».. رواية.. جائزة البوكر.

Twitter: @ketab_n

١٠٤ ـ «موندو».. للكاتب الفرنسى «ج.م.ج لوكليزيو» قصص.. جائزة نوبل .

١٠٥ ـ «الكون فى راحة اليد».. للكاتبة النيكاراجوية «جيوكوندا بيلى».. رواية.. جائزة اتحاد الناشرين.

١٠٦ ـ «جزيرة صغيرة».. للكاتبة الإنجليزية «أندريا ليفى».. رواية.. جائزة الأورانج .

١٠٧ ـ «حياتى».. للكاتبة الأمريكية «إيزادورا دونكان».. سيرة ذاتية.. جائزة الكتاب القومى .

١٠٨ ـ «تيو».. للكاتبة النيوزيلندية «باتريشيا جريس».. رواية.. جائزة ميدالية ديوتيز للرواية.. وجائزة مونتانا للرواية.

١٠٩ ـ «الجولة وحوادث مؤثرة أخرى».. للكاتب الفرنسى «ج.م.ج لوكليزيو».. قصص.. جائزة نوبل.

١١٠ ـ «ذهول ورعدة».. للكاتبة الفرنسية «إميلى نوتومب».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

١١١ ـ «أوليف كيتريدج».. للكاتبة الأمريكية «إليزابيث ستراويت».. رواية.. جائزة البوليتزر.

١١٢ ـ «زهرة الكركديه الأرجوانية».. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى».. رواية.. جائزة الكومنولث لأفضل كتاب أول.

١١٣ ـ «ثمة شىءٌ أقول لكم».. للكاتب البريطانى من أصول باكستانية «حنيف قريشى».. رواية.. جائزة بن بنتر للأدب.

١١٤ ـ «قلبٌ ناصعُ البياض».. للكاتب الإسبانى «خابير مارياس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب (تشيلى).

Twitter: @ketab_n

١١٥ ـ «كتاب الزنوج».. للكاتب الكندى «لورانس هيل».. رواية..
جائزة الكومنولث للكتاب.

١١٦ ـ «ملك كاهل».. للكاتب الفرنسى «تيرنو مونينمبو».. رواية..
جائزة رينودو.

١١٧ ـ «البينيلوبية».. للكاتبة الكندية «مارجريت أتوود».. رواية..
وسام الفنون والآداب الفرنسى , ١٩٩٤

١١٨ ـ «فوس».. للكاتب الأسترالى «باتريك وايت».. رواية.. جائزة
نوبل.

١١٩ ـ «هناك حيث النمور فى أوطانها» جـ, ١. للكاتب الفرنسى
«جان ـ مارى بلاس دو روبليس».. رواية.. جائزة ميديسيس.

١٢٠ ـ «هناك حيث النمور فى أوطانها» جـ, ٢. للكاتب الفرنسى
«جان ـ مارى بلاس دو روبليس».. رواية .. جائزة ميديسيس.

١٢١ ـ «الناقوس الزجاجى».. للكاتبة الأمريكية «سيلفيا بلاث»..
رواية.. جائزة البوليتزر.

Twitter: @ketab_n

يصدر قريبًا:

١ ـ ملك كاهل .. تيرنو مونينمبو .. جائزة رينودو ٢٠٠٨.

٢ ـ ڤوس .. باتريك وايت .. جائزة نوبل للآداب ١٩٧٣.

٣ ـ البينيلوبية .. مارجريت أتوود .. وسام الفنون والآداب الفرنسي ١٩٩٤.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

Twitter: @ketab_n

أميلي نوتومب، كاتبة بلجيكية.

- ولدت عام 1967 في كوبي باليابان، وعاشت هناك بصحبة والدها الدبلوماسي حتى الخامسة عشرة من عمرها.
- عاشت فترة طويلة من عمرها في الشرق الأقصى، ودرست علم اللغة، ثم عادت إلى اليابان حيث عملت كمترجمة فورية، وفور عودتها إلى أوروبا تفرغت للكتابة.
- استهلت مشوارها الأدبي برواية "طهارة القاتل" عام 1992، ولقد حققت الرواية أصداء طيبة كرّست شهرتها، ثم توالت أعمالها الروائية حتى تجاوزت اثني عشر عملا.
- من أهم أعمالها: "طهارة القاتل" و"مستحضرات تجميل العدو" و"سيرة الجوع" و"يوميات خطاف" و"رحلة الشتاء" و"قتل الأب"، و"لا حواء ولا آدم"، ومسرحيتها الوحيدة بعنوان "المحروقات".
- ترجمت أعمالها إلى أكثر من عشرين لغة.
- حازت العديد من الجوائز الأدبية، من أهمها: جائزة "رينيه" وجائزة "آلان ـ فورنييه"، ثم حصدت روايتها التي بين أيدي القارئ الكريم الآن جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية، وصارت رواياتها ظاهرة ينتظرها القراء سنويًا، حتى قيل إن الفرنسيين يتطلعون بشوق كل خريف إلى حدثين: حصاد العنب، وصدور رواية "نوتومب" الجديدة.
- رُشحت روايتها "لا حواء ولا آدم" التي بين أيدي القارئ الكريم الآن لجائزة الجونكور والجائزة الكبرى لعام 2007، قبل أن تحصد جائزة دي فلور في العام نفسه.

الجائزة: جائزة دي فلور

تأسست جائزة دي فلور عام 1994، وقد حققت الجائزة ـ طوال عقدين من الزمان ـ مصداقية وسمعة حسنة باختياراتها الجادة. وهي تمُنح بانتظام لكاتب شابٍ يلفت الانتباه بموهبةٍ استثنائية، وتتكون لجنة التحكيم من الصحفيين المتابعين للمشهد الأدبي، وتسلم الجائزة في شهر نوفمبر من كل عام بمقهى دي فلور في باريس. والطريف أنه بالإضافة إلى قيمة الجائزة التي تتجاوز الستة آلاف يورو، يفوز الكاتب باستضافته لمدة عام كامل بمقهى دي فلور، ليتناول طعامه فيه كلَّ يوم.

Twitter: @ketab_n

سلسلة الجوائز 122

رواية "لا حواء ولا آدم" هي أيضا عودة "أميلي نوتومب" للكتابة على تخوم سيرتها الذاتية، مثلها مثل الرواية التي أصدرتها سلسلة الجوائز منذ وقت قصير "ذهول ورعدة".

لكن في حين تناولت "ذهول ورعدة" الحياة العملية لبطلة تشبه رحلتها العملية كثيرًا رحلة المؤلفة في اليابان، فقد تناولت "لا حواء ولا آدم" الحياة العاطفية لهذه البطلة من خلال قصة حب تربطها بطالب ياباني شاب من أسرة عريقة، وتمثل العلاقة في بعدٍ من أبعادها المتعددة علاقة الشرق بالغرب.. ومحاولة الطرفين المحبين تذويب الاختلافات الثقافية والاجتماعية والعاطفية، وشرح العادات والتقاليد المختلفة ليفهم الحبيبان مرجعية أحدهما الآخر ويقتربان أكثر.

كتب الناقد الشهير "لو بوان" عن "أميلي نوتومب": (أميلي نوتومب تخوض عملية بحث عن صوت فولتيري خاص بها.. صوت خفيف، غير قابل للتلف ومتحرك دائمًا، حواراتها نقية، سريعة، حادة، صافية، غير قابلة للصدأ، مصقولة، لا يمكن التنبؤ بها، وهي فوق ذلك سامقة حد البراعة. لا شيء يتسكع أو يثقل على القارئ في هذا الكتاب. هذا الكتاب أعجوبة صغيرة، ولكن لماذا قلت "صغيرة"؟ هو أعجوبة فعلاً.

الروائية: أميلي نوتومب، كاتبة بلجيكية.
الجائزة: جائزة دي فلور 2007.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تصميم الغلاف: هند سمير

ISBN# 9789774486265

6 221149 032439

13 جنيها